

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمّـه لخضر - الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



التَّوجِيهُ الدَّلَالِيُّ لِلْأَمْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

دراسة نحوية - بلاغية - تداولية

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: اللسانيات العامة.

إشراف الدكتور:

محمد بن يحيى.

إعداد الطالبين:

- عبد المجيد بن يحيى.

- صورية حوري.

السنة الجامعية: 2017/2018، الموافقة: 1438 / 1439 هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

الزُّمَرُ/ 11 - 12

شكر و عرفان

تقدّم بالشكر الجزيل لأستاذنا القدير الدكتور محمد بن يحيى
الذي أشرف على إيصال بحثنا إلى محطته الأخيرة، جزاه الله
عنا كل خير.

ونشكر الدكتور فتحي بجة على مساعدته ومدّه لنا بالنصائح
والتوجيهات.

كما نشكر الزميل محمد بن خريدة على مساعدته القيمة.

وتقدّم لمنسّق هذا البحث الأستاذ لمنور برّوسي بخالص العرفان
والامتنان على صبره وتفانيه في إخراج هاته الدراسة إلى
النور.

المقدمة

الحمدُ لله على وافرِ آلائه، وعلى واسعِ عطائه، حبا آدمَ بجليلِ نعمائه، شقَّ بصره، وسوّى بنائه، فأحسنَ خلقه، وزرعَ في قلبه حُبَّ الدنيا من مهدهِ إلى لحدهِ، فراحَ ساعياً مُحدثاً التَّغييرَ تلوَ الآخرِ، من تهذيبٍ في لباسه وسلوكه، إلى تطويعِ الطَّبيعةِ والتَّكْيِيفِ مع متطلَّباتها، وصولاً إلى فكرةٍ تمثينِ أواصرِ الإيحاءِ والتَّوادِّ مع بني جنسه، هاته الأخيـرةُ التي كانَ اللسانُ البشريُّ لها بالمرصادِ، ولم يكنْ للإنسانِ من وسيلةٍ أكثرَ نجاعةً لتحقيقِ تواصلٍ مرِنٍ سلسٍ، واضحِ القسـماتِ كاللَّغة، فهي التي عدَّها "ابنُ جنِّي" أصواتاً يُعبَّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهِم، مقولةٌ بسيطةٌ موجزةٌ تلخِّصُ مفهومَ اللِّغةِ وبنائها وغايتها، على اختلافِ الناطقين، ومِرِّ الحقبِ والسِّنِّين. فهي لا تعدُّو أن تكونَ أصواتاً تواضعَ عليها القومُ، لتغدو همزةً وصلٍ فيما بينهم، يُحَقِّقونَ من خلالها أغراضاً اجتماعيةً أو نفسيةً أو اقتصاديةً، وهم بذلك يحققون تكيفاً مع بيئاتهم، مذلِّلين صعباً جمَّةً، شكَّلتْ في وقتٍ ما حاجزاً بين الإنسانِ ورغباته.

شكَّلتِ اللِّغةُ إذاً حجرَ الزَّاويةِ في علَّةِ وجودِ البشرِ على الأرضِ؛ فأمرُوا بالعبادةِ والتَّوحيدِ، ولا سبيلَ إلى ذلكِ إلاَّ بالقراءةِ والعلمِ، مُصدِّقاً لقوله تعالى مخاطباً محمداً ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق/1، أمرٌ مربوطٌ باسمِ الله، وعلى هديٍّ من أوامره ونواهيهِ، فلا يكونُ العلمُ إلاَّ خيراً للإنسانِ، وأيُّ خيرٍ له من دونِ علمٍ!؟

نعم إنَّه الخطابُ الأوَّلُ من رافعِ السَّمَاوَاتِ بلا عمدٍ إلى خيرِ خلقه، هاته الأُسبُقيَّةُ قد تعلَّلْ لنا سببَ اهتمامِ الدَّارسينَ والعلماءِ باللسانِ البشريِّ عبر الأزمِنةِ المختلفةِ، وهو اهتمامٌ بدأ مع "بانيني" وكتابِ "الفيدا" المقدَّسِ لدى الهنود، وربَّما بدأ قبلَ ذلك، كما كانت للمصريِّين القدامى عنايةٌ باللِّغةِ، وهو الأمرُ ذاته الذي عرفناه مع اليونانِ والرُّومانِ ولم يكنِ العربُ المسلمونَ أقلَّ شأنًا من غيرهم في العنايةِ بلغتهم، إذ عكفوا على استقصاءِ كلامِ الله جلَّ وعلا، وإمـاطةِ اللِّثامِ عن أسرارِهِ مشغولين بإعجازه.

كلُّ ذلكِ وغيره يحملُ العاقلَ على التَّساؤلِ: ما القوَّةُ الكامنةُ وراءَ اللِّغةِ حتَّى فرضتْ نفسها محطَّ رعايةٍ وعنايةِ الإنسانِ دونًا عن غيرها من الطَّواهرِ الإنسانيَّةِ؟

الإجابةُ على هذا السَّؤالِ قد نجدُها فيما ذهبَ إليه اللُّغويونَ المحدثون، ك: "رومان جاكبسون R. Jakobson" الذي عرضَ في إسهاماته إلى وظائفِ اللِّغةِ، وخصوصاً وظيفةِ التَّواصلِ، وقد سبقه في الإشارةِ إلى ذلكِ لفيفٌ من لغويينا الأجلِّاءِ، أمثال: الجاحظ، وسيبويه،

وابن جني، وابن سينا، والزخشي، والقزويني، هؤلاء جميعهم أكدوا على اجتماعية اللغة في أكثر من محطة ضمن محطات بحوثهم، وأقروا كذلك بأنها جهاز تواصلية قائم بذاته، يضمن التواصل بين الأفراد عن طريق الأصوات، حين تثبت النوايا حسنها وصدقها.

وكانت اللغة دائماً وستظل ملونةً بأساليب وصيغ يُنشئها منتجوا الكلام حسب مقتضيات المواقف والمقامات، ونحن إذ نخص اللغة العربية بجدثنا في هذا البحث، نُلفي متكلمها متقلّباً بين الاستفهامات والتعجبات أحياناً، وبين الأوامر والتواهي والأدعية والنداءات، وغيرها من أساليب الإنشاء أحياناً أخرى، كما نجد مخبراً نافياً مقررّاً ضمن الأسلوب الخبري، وهو بين هذا وذاك، يسعى جهده للتأقلم مع وضعيات تعنُّ بين الفينة والأخرى.

ولقد ارتأينا أن يكون أسلوب الأمر في القرآن الكريم مادةً لبحثنا، راغبين في الاطلاع على التراث اللغوي العربي، والذي خصّص لمثل هذا الموضوع قسطاً من جهده، طالعنا به كتب عدّة، كالبيان والتبيين للجاحظ، والكتاب لسيبويه، والخصائص لابن جني، والكشاف للزخشي، إضافةً إلى علماء الأصول من أمثال ابن القيم الجوزية رحمة الله عليهم جميعاً.

هذا وقد عرضت لمسألة الأسلوب القرآني حديثاً ثلثةً من الطلبة الباحثين في مختلف الجامعات، نذكر منهم على سبيل التمثيل: أطروحة دكتوراه العلوم للطلّاب "محمد مدور" المعنونة بـ: "الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة نموذجاً)" دراسة تداولية، جامعة باتنة، ومدكرة لنيل شهادة الماجستير للطلّاب "عيسى تومي" عنونها بـ: "الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني (سورة البقرة نموذجاً)"، جامعة بسكرة، وأطروحة دكتوراه للطلّاب "قدور خلوفي" وعنوانها "مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني (سورة الكهف نموذجاً)"، جامعة وهران... هي رسائل جامعية تجسّد ضرورة الالتفات إلى لغتنا دراسةً وتحليلاً، ومحاولة الكشف عن أسرارها في القرآن الكريم، لشدّ أنظار الناشئة إليها، من أجل ربطها بدينها وتعريفها به، كي تعبد خالقها حقّ عبادته.

لذا جاء هذا البحث موسومًا بـ: "التوجيه الدلالي للأمر في القرآن الكريم - دراسة نحوية بلاغية - تداولية، وهو اختيار حفزت إليه اعتبارات عدة يمكن إيجازها في الآتي:

✓ الميل إلى الدراسات اللغوية.

✓ الرغبة في الاقتراب من الأسلوب القرآني، والاحتجال بما يحويه من ظواهر إعجازية.

✓ محاولة فهم البحث التداولي وجهازه المفاهيمي، وكذا علاقته بالبلاغة العربية، من خلال القرآن الكريم، وآراء المفسرين في ذلك.

✓ وفيما يخص اختيار الأمر في القرآن الكريم فمرده إلى كونه الطلب الأول النازل من السماء على رسولنا الكريم لقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق/1، وهو طلبٌ يُلخّصُ علّة وجود الإنسان برمتها، ونعني بذلك العبادة العاقلة .

وينطلق هذا البحث من إشكالية تعدد مقاصد الأمر لتعدد صيغه، بمراعاة السياقات المختلفة، إذن كيف يمكن فكّ ذلك التشابك الدلالي؟ وكيف السبيل إلى فهم تلك المقاصد، وقد اتخذت صورًا وأشكالًا، ووجهت دلاليًا إلى أغراض أخرى، غير التي تضمّنتها الحروف والكلمات؟! وكيف تعامل علماءنا الأوائل مع هذه المسألة؟

وهذا أمر طرقة الأصوليون والنحاة والبلاغيون قديما، وها هم التداوليون المعاصرون الذين يتقدّمهم "جون أوستين J. Austin" وتلميذه "جون سيرل J. Searle" ومن حذا حذوهما من علمائنا العرب، يتناولون قضايا اللغة من منظورٍ خاصّ.

فغايئنا إذن من هذا البحث هي معرفة تشكلات أسلوب الأمر في القرآن الكريم نحوًا وبلاغةً وتداولًا، وكشف الدلالة بين هذا التشكّل أو ذاك.

ولإجابة على تلك التساؤلات كان لابد من منهج يُعيرُ على توضيح المسألة، فكان المنهج الوصفي دليلًا لنا، استقصاءً وتصنيفًا للقضايا المعرفية التي عالجنها، مع تحليل الظواهر النحوية والبلاغية والتداولية، المرتبطة بأسلوب الأمر في القرآن الكريم.

وتماشياً مع طبيعة الموضوع عمدنا إلى إخراجها في فصلين، امتزج فيهما العمل النظري بالتطبيق الفوري، لحمل الظواهر اللغوية المطروقة. فهما فصلان تتقدّمهما مقدّمة، وتقفوهما خاتمة.

أمّا مدخل هاته الدراسة فكان تعريفًا بمصطلحات العنوان (التوجيه - الدلالة - التداول)، أو قل هي قراءة بسيطة في مكونات العنوان بتعريفات لغوية واصطلاحية.

وعنواناً الفصل الأول بـ: "نحوية الأمر وبلاغيته من خلال كتب التفسير"، فُسِّمَ إلى مبحثين، أوهُمَا: "صيغ الأمر التحوية في القرآن الكريم"، عرضنا فيه لمختلف الصيغ التي ورد عليها الأمر، كما أقرها النحاة وعلماء اللغة. وجاء المبحث الثاني معنوناً بـ: "أسلوب الأمر وأغراضه البلاغية في القرآن الكريم"، ومن خلاله عرضنا لأهم آراء علماء البلاغة في خروج الأمر عن حقيقته إلى أغراضٍ أخرى، دائماً ما كان السياق متحكماً في تحديدها، وتفرغ عن المبحثين عناوين جزئية كانت بمثابة أحجار صغيرة تشد البناء الكلي.

وظهر الفصل الثاني بعنوان: "أسلوب الأمر والبحث التداولي في القرآن الكريم". قسّمناه هو الآخر إلى مبحثين: الأول منهما عنوانه بـ: "دور السياق في توجيه الأمر في القرآن الكريم"، وقد شغل هذا المبحث حيزاً لا بأس به من البحث، بسبب ارتباط كل الأداءات اللغوية بالسياق المقامي، فأوردنا في هاته النقطة أنواع السياق بكل تفرعاتها التي تتلامس مع الأوامر القرآنية بشكل مباشر.

وفيما يخص المبحث الثاني فكان بعنوان: "أسلوب الأمر وأفعال الكلام في القرآن الكريم"، وبما أنّ الأفعال الكلامية تمثل ركناً رئيساً في البحث التداولي، فقد عرضنا لها بالتعريف وتوضيح ماهيتها، ثم أوردنا في نقطة تالية دلالة الجملة الخبرية على الأمر في القرآن الكريم؛ إذ حاولنا إبراز آراء العلماء في مسألة تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، مع إيرادنا لتعديل التداولين في ذلك التقسيم، وختمنا المبحث بالتوجيهات بوصفها مظهرًا بارزاً للأوامر القرآنية، من المنظور التداولي الحديث، ومحاولة إبراز أهم الأفعال الكلامية المنبثقة عنها.

ولم تكن مهمتنا في هذا العمل بمنأى عن الصعاب والعوائق التي يتقدمها تعدد الحصول على مادة علمية متبلورة بمنهج قائم بذاته في التراث اللغوي، وخاصةً فيما يتعلق بالجانب التداولي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعدد الحصول على الكتب المؤسسة للبحث التداولي، والتي تمثل منابعه، في أغلبها صادرة باللغات الأجنبية، وهو ما زاد الأمر تعقيداً، وعلى صعيدٍ آخر ربما لم يكن عامل الوقت في صالحنا، فإنجاز عملٍ يليق بالطالب الباحث يحتاج إلى السعة والتفرغ التام. ومع ذلك حاولنا بما سمحت به الظروف أن نضع هذه الدراسة على طريق البحث والمعرفة، مستأنسين بكتب تتعلق بهذا المجال، ورسائل جامعية ذات صلة بالموضوع، نمثل لها على سبيل الذكر بـ: "الخصائص" لابن جني، "الكتاب" لسيبويه، "الإنصاف في مسائل الخلاف" للأنباري، "الإيضاح في علوم البلاغة" للقرظيني، "مغني اللبيب" لابن هشام، "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر" للدكتور أحمد محمود نحلة، و"التداولية عند العلماء العرب"

لمسعود صحراوي، "أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين" للدكتور قيس إسماعيل الأوسي، كما مثل تفسير ابن عاشور "التحرير والتنوير"، و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي شمعتين أضاءتا لنا الطريق، فكاننا مع بقية المصادر والمراجع سنداً لنا في هذا البحث، الذي نأمل أن نكون قد اقتربنا من خلاله إلى توضيح الإشكالية المعالجة فيه، بالإجابة عن التساؤلات التي أوردناها آنفاً.

وفي الأخير ما يسعنا إلا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى الدكتور "محمد بن يحيى" على قبوله الإشراف على هذا البحث، ومرافقته له بالتصويب والتعديل طيلة أيام الإنجاز. ذاك هو درب العلم والمعرفة فمن هداه الله إليه فقد أوتي خيراً كثيراً، فاللهم نسألك التوفيق في المسعى، فأنت الموفق مسدّد الخطي، إلى ما فيه صلاحنا حتى ترضى، فلك الحمد عند الرضا، وصلّ اللهم وسلّم على رسول الهدى، أشرف المرسلين آمين.

جامعة الوادي

20 رمضان 1439 هـ

عبد المجيد بن يحيى.

صورة حورية.

مدخل: تحديد أهم مفاهيم مصطلحات الدراسة

التوجيه الدلالي للأمر في القرآن الكريم، دراسة نحويّة - بلاغيّة - تداوليّة، عمل اخترنا أن يكون خاتمة جهدنا في مرحلة الماجستير، وهو محاولة بسيطة نبتغي من ورائها توضيح صور الأمر في بعض آي الذكر الحكيم، من خلال تشكلاته النحويّة والبلاغيّة، ومنظور البحث التداولي فيه.

وارتأينا أن يكون مدخل هاته الدراسة، تحديد مفاهيم مصطلحات العنوان (التوجيه - الدلالة - التداول) باعتبارها محلّ الدراسة ومدار البحث.

التوجيه لغة:

التوجيه على وزن التفعيل، مصدر الفعل الرباعيّ وجّه بزنة فعّل. فنقول وجّه يوجّه توجيهها.

ووجهت الشيء: أي جعلته على جهة واحدة.

ووجه فعل متعدّد، اسم الفاعل منه موجه، واسم المفعول موجه.

ولقد جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة وجّه: «وجه إليه كذا: أرسله ووجهت الريح الحصى توجيهها، إذا ساقته. ووجه النخلة: غرسها فأماها قبل الشمال، فأقامتها الشمال»¹

والملاحظ من خلال الشواهد أنّ فعل التوجيه موكول إلى مؤثر، أو سبب يجعل الأمر يأخذ طريقا غير تلك التي كانت له في بادئ الأمر. وقد يلتبس على العامة، أو بعض مستعملي اللغة، أنّ التوجيه والتوجه أمر واحد، وهو سوء فهم.

ولتوضيح المسألة نسوق ممثلين، قوله تعالى في شأن سيّدنا موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ القصص/22. فالتوجه فعل صادر عن الذات بغية حاجة ما، أمّا التوجيه لا يصدر إلاّ بمؤثر فاعل، مثلما يوجّه تيار الهواء الغبار اتجاهها معيّنًا.

ونخلص ممّا سبق إلى أنّ التوجيه هو تحويل الشيء عن مساره الأول، تجاه مسار آخر.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، المجلد السادس، باب الواو، مادة وجّه، ص 4777

التوجيه اصطلاحاً:

التوجيه في اصطلاح أهل اللغة أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى، احتمالاً مطلقاً من غير تقييد ويرتبط لفظ التوجيه في القرآن الكريم بالقراءات، حيث يعني إخضاع أحد أوجه القراءة للنحو، مع العلم أن النحاة يقفون حيارى في عديد المرات التي يطابقون فيها قراءة ما مع النحو؛ إذ يلتبس عليهم الأمر حين تتعارض القراءة مع قواعدهم، فما يكون منهم إلا الإذعان، لأن القرآن حجة على اللغة وليس العكس، كما أن القرآن في غنى عن النحو.

أما التوجيه الدلالي للأمر في القرآن الكريم، والذي نرمي إلى توضيحه من خلال بحثنا، فمدار القول فيه متعلق بالصيغة والغرض والسياق، ويمكننا ضغط المسألة في ثلاثة أسئلة جوهرية: ما الصيغ التي يأتي عليها الأمر نحواً؟ ما الأغراض المرجوة منه بلاغة؟ ما السياقات المتحركة في توجيه دلالاته؟

وسنحاول بمشيئة الرحمن الإجابة عن هذه الأسئلة عند طرق بابها في ثنايا البحث.

الدلالة لغة:

الدلالة مصدر الفعل الثلاثي دَلَّ، اسم الفاعل منه دالٌّ، واسم المفعول مدلول. جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة دَلَّ بِفَتْحٍ إِدْغَامِ دَلٍّ: «دَلَّ يَدُلُّ إِذَا هَدَى، وَالدَّلُّ قَرِيبُ الْمَعْنَى مِنَ الْهَدْيِ، وَفُلَانٌ يَدُلُّ عَلَى أَقْرَانِهِ، كَالْبَازِيِّ يَدُلُّ عَلَى صَيْدِهِ»¹. ودلت بهذا الطريق: عرفته، ودلتُّ به أدلُّ دَلَالَةً، وأدلتُّ بالطريق إدلالاً. والدَّليَّة: المحجَّة البيضاء، وهي الدَّليَّة.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ الفرقان/45

قال أبو منصور: سمعت أعرابياً يقول لآخر: أما تندلُّ على الطريق؟

والدليل: ما يستدلُّ به. والدليل: الدالُّ.

وقد دلَّه على الطريق، يدلُّه دَلَالَةً وَدِلَالَةً وَدُلُولَةً.

نخلص ممَّا سبق إلى «أنَّ الدَّلَالَةَ فِي اللُّغَةِ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْفِعْلِ (دَلَّ): أَرشَدَ، وَسَدَّدَ،

¹ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الحادي عشر، ص 248 - 249

ووجهه في نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الصف/10، وقوله سبحانه: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ... ﴾ طه/40
 أي أرشدكم، وأوجهكم، وأهديكم... فدلالة اللفظ هي هدايته إلى معناه وتوجيهه إليه»¹

الدلالة اصطلاحاً:

الدلالة بالمصطلح العامي البسيط هي المعنى، مع فارق لطيف في الحركة والسكون. وذكر الشريف الجرجاني في (كتاب التعريفات): «هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول».²
 نفهم من هذا التعريف أنّ الدلالة هي تعاضد بين وجهين يحمل أحدهما الآخر، ليقدما صورة شيء ما في الوجود، إنّ على المستوى الحسي، أو المعنوي. ويرتبط مفهوم الدلالة بالذهن الذي يسقط الأسماء أو الألفاظ على مسمياتها. ولا تخرج المسألة في ذلك عن دال ومدلول.
 وعلى الرغم من أنّ مسألة علاقة اللفظ بالمعنى كانت محلّ جدل كبير بين العلماء والفلاسفة، قديما وحديثا، إلاّ أنّه يمكننا التأكيد على إثارة الأصوات للصور في الذهن، كيف ما كانت دلالتها، وتلك جبلة وهبها الباري سبحانه لآدم وذريته.

التداول بوصفه معطى لغويًا حديثًا:

يأتي مصطلح التداول في المرتبة الثالثة من بحثنا، بعد التوجيه والدلالة. ونحن إذ نعرض لهذا المعطى لسنا بصدد الحديث عن البحث التداولي، وما يحيط به من تشابكات ومفاهيم، بقدر ما نريد وضع القارئ في جوّ ما نرمي إليه تداوليًا، وصلته بعملنا المتواضع هذا.
 «التداول هو التفاعل، وكلّ تفاعل يلزمه طرفان على أقلّ تقدير؛ مرسل ومستقبل، متكلم ومستمع، كاتب وقارئ، على أنّ مدار اشتغال التداولية، هو مقاصد وغايات المتكلم، ضمن سياقات مختلفة»³ وهو ما سنستقصيه مع أسلوب الأمر في القرآن الكريم، من خلال نماذج مختارة، نبين فيها أغراض الكلام، واختلاف صيغ الأمر.

1 - خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة الجزائر، ط 2، 2012 ص 19.

2 - المرجع نفسه، ص 19.

3 - بهاء الدين محمد يزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2010، ص 18.

ونشير في هذا الصدد إلى جهود العالمين "جون أوستين J. Austin" وتلميذه "جون سيرل J. Searle" اللذين أرسيا قواعد البحث التداولي الحديث، وهي جهود لم تنطلق من العدم؛ إذ المقام يفرض التذكير بما عرفه الأصوليون الأوائل وعلماء الفقه، حين عنوا بمنهجين كلاميين هما: عرفية الاستعمال ومقصد المتكلم.

ولقد جاء البحث التداولي لسد الفراغ الرهيب الذي نتج عن عجز المقاربات السابقة (البنوية، والأسلوبية، والسيميائية...) في محاصرة اللغة بناء واستعمالا. ويرجع الفضل الأكبر لـ "جون سيرل J. Searle" حين خصّ الأفعال الكلامية بعناية مركزة، فجعلها لا تخرج عن الإخباريات أو التعبيرات أو الإعلانات أو الالتزامات أو التوجيهيات. وهاتان الأخيرتان ستكونان محطة مهمة في هذا البحث، نأمل أن تسعفنا ظروف الإنجاز لتوضيحها. كما لا يفوتنا هاهنا التنويه بأفكار "بول غرايس P. Grice" وخاصة مبدأ التعاون الذي يعزز علاقة الحوار الصادقة بين المخاطب والمخاطب.

وبما أنّ التداول ركن ركين في البحث التداولي، عُدد السياق أرضية خصبة لنماء أيّ تواصل بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري: «وينبغي أن تعرف أقدار المعاني، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين، وبين أقدار الحالات؛ فتجعل لكل طبقة كلاما، ولكلّ حال مقاما، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات. واعلم أنّ المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال»¹.

ضمن هذا المفهوم يكون البحث التداولي منهاجا سياقيا بامتياز، من حيث توطيئه لعلاقة الحوار بين المتخاطبين، كيف لا وهو الباحث عن علاقة اللغة بمستعملها؟! وذاك ما نسعى لكشف اللثام عنه، حين التطرق لأغراض الأمر المختلفة التي تتوافق مع متضمنات القول، والأقوال المضمرة، بوصفها أفكارا تداولية.

أمّا أبرز فكرة في بحثنا، والتي تتلامس مع البحث التداولي، هي محاولة الكشف عن أسلوب الأمر، من خلال الجملة الوصفية الإخبارية في عديد آيات القرآن الكريم، ثمّ الإشارة إلى دور اختلاف السياق في تحديد معنى الأمر وتوجيهه، والغاية المنشودة من ذلك.

¹ - أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحق. محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت،

دط، 1419 هجرية، ص 135.

الفصل الأول: نحوية الأمر وبلاغيته من خلال كتب التفسير

المبحث الأول: صيغ الأمر النحوية في القرآن الكريم

أولاً: صيغة فعل الأمر

ثانياً: الفعل المضارع المقرون بلام الأمر

ثالثاً: اسم فعل الأمر

رابعاً: المصدر النائب عن فعل الأمر

المبحث الأول: صيغ الأمر النحوية في القرآن الكريم:

الأمر في أصله اللغوي من الفعل الثلاثي (أَمَرَ)، جاءت هذه اللفظة في المعجم الوسيط بمعنى: «أَمَرَ عَلَيْهِمْ أَمْرًا، وَإِمَارَةً، وَإِمْرَةً: صار أميرًا عليهم...» و(استأمره): طلب أمره. واستشاره... (والأمر): الحال والشأن. وفي التنزيل العزيز: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ آل عمران 128¹.

تناول النحاة الأوائل الأمر في باب إعراب الأفعال وبنائها، وما من شك أن بحثهم هداهم إلى تنوع صور وروده على الألسنة وخصوصا في القرآن الكريم المعجز، ومنه إلى تغير حالات بنائه. وقد قيد سيبويه الأمر بكونه فعلا، فقال: «والأمر والنهي لا يكونان إلا بفعل، وذلك قولك: زيدا اضربه، وعمرا أمرز به، وخالدا اضرب أباه، وزيدا اشتر له ثوبا. ومثل ذلك: أمّا زيدا فاقتله، وأمّا عمرا فاشتر له ثوبا، وأمّا خالدا فلا تشتم أباه، وأمّا بكرة فلا تمر به. ومنه: زيدا ليضربه عمرو، وبشرا ليقتل أباه بكر، لأنه أمر للغائب بمنزلة افعل للمخاطب»². نلاحظ من خلال المقولة تركيز صاحب الكتاب على الفعل، سواء كان أمرا أم مضارعا مقترنا بلام الأمر، إلا أن ذلك لا يعني بتاتا ورود الأمر بصيغة الفعل فقط، بل يتسع لأكثر من ذلك، وهو ما يعيننا في هذا المبحث، حيث سنسعى إلى تتبع هذا الفعل وعلامات بنائه. وكما لا يكون حكم البناء مطلقا، تجدر الإشارة إلى مسألة خلافية بين مدرستي الكوفة والبصرة، ألا وهي: ما الأصل في كلام العرب: الإعراب أم البناء؟ «فمذهب البصريين أن الإعراب أصل في الأسماء، فرع في الأفعال، فالأصل في الفعل البناء عندهم. وذهب الكوفيون إلى أن الإعراب أصل في الأسماء وفي الأفعال والأول هو الصحيح، ونقل ضياء الدين بن العلق في البسيط أن بعض النحويين ذهب إلى أن الإعراب أصل في الأفعال فرع في الأسماء»³.

ولما كان حديثنا متعلقا بفعل الأمر وجدنا ما يشير إلى ذلك في متن ألفية ابن مالك

[من الرجز]: وفَعَلُ أَمْرٍ وَمُضِيٌّ بُيَا وَأَعْرَبُوا مَضَارِعًا إِنْ عَرِيَا

مَنْ نُونٌ تَوْكِيْدٌ مُبَاشِرٌ وَمَنْ نُونٌ إِنَاتٌ كَيْرُغْنٍ مَنْ فُتْنٌ⁴

¹ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، د تحق، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، مادة (أَمَرَ)، ص26.

² - سيبويه، كتاب سيبويه، تحق عبد السلام هارون، دار التاريخ بيروت لبنان ط 6 ج 1، ص 137.

³ - ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحق، محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط2 1990، ج 1، ص 39 - 40.

⁴ - المرجع نفسه شرح ابن عقيل، ج 1، ص 39.

إذ «ذهب الكوفيون إلى أنّ فعل الأمر للمُؤاَجِه المِعْرَى عن حرف المضارعة - نحو افعَل - معربٌ مجزوم، وذهب البصريون إلى أنّه مبني على السكون.

أمّا الكوفيون فاحتجّوا بأن قالوا: إنّما قلنا إنّ معرب مجزوم لأنّ الأصل في الأمر للمُؤاَجِه في نحو: "افْعَلْ" لِتَفْعَلْ، كقولهم في الأمر للغائب "ليفعل" وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْتَفَرِّحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يونس/58 في قراءة من قرأ بالتاء من أئمة القراء، ودُكِرَت القِراءة أنّها قراءة النّبِيّ □ من طريق أبيّ بن كعب، ورويت هذه القراءة عن عثمان بن عفان وأنس بن مالك والحسن البصري ومحمد بن سيرين وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني وأبي رجاء العطارديّ وعاصم الجحدريّ وأبي التّيّاح وقتادة والأعرج وهلال بن يساف والأعمش وعمرو بن فائد وعلقمة بن قيس ويعقوب الحضرمي وغيرهم من القراء»¹. يُجرى الكوفيون هنا الأمر مجرى المضارع المجزوم، فيزعم بعضهم أنّه ما دام الأمر ضدّ التّهي، فيلزمهما الإعراب، وأنّ حين تكون أمام المضارع المعتل الآخر في حالة جزمه، أو الأمر إنّما أنت أمام حالة واحدة مثل: أَسْمُ ولم يَسْمُ، أو ارم ولم يرم، فالعلامة هي حذف حرف العلة، أو النّون مع الأفعال الخمسة مثل: (اكتبوا ولم يكتبوا أو اسعي ولم تسعي).

وقال الشّاعر [من الخفيف]: لِتَقُمْ أَنْتَ يَا بَنَ خَيْرِ قُرَيْشٍ فَتُقَضِّي حَوَائِجَ الْمُسْلِمِينَ² فثبت أنّ الأصل في الأمر «للمُؤاَجِه في نحو: اِفْعَلْ، أنّ يكون باللام نحو: لِتَفْعَلْ كالأمر للغائب، إلّا أنّه لما كثر استعمال الأمر للمُؤاَجِه في كلامهم وجرى على ألسنتهم أكثر من الغائب، استثقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال، فحذفوها مع حرف المضارعة طلباً للتخفيف»³.

¹ - ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحق، محي الدّين عبد الحميد دار الطّلائع، القاهرة، ج 2، ص82.
² - هذا البيت من شواهد ابن هشام في معني اللبيب "رقم 379" وأنشده مرتين "في ص 227 و552" ولم يتحدث عنه السيوطي في شرح شواهد، ويروى "كي لتقضى حوائج المسلمين" ويروى "فلتقضى حوائج المسلمين" وتقول: قضى فلان الشيء؛ تريد عمله.

³ - ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج 2، ص85.

أولاً: صيغة فعل الأمر:

فعل الأمر صيغة تدلّ على عمل يُطلب إنشاؤه في المستقبل، وهو مختصّ بالفاعل المخاطب من الفعل المعلوم، ولربما تكون أول آية نزلت على خير البرية □ □، هي أول ما نستهلّ به حديثنا النحويّ عن فعل الأمر، قال تعالى مخاطباً نبيّه □: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ العلق/1 - 2 - 3. فعلى الرغم من أنّ رسولنا الكريم لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقتها، إلاّ أنّه أمر بالقراءة لتكون تلكم الآيات الكريمات «هُنَّ أَوَّلُ رَحْمَةٍ رَحِمَ اللَّهُ بِهَا الْعِبَادَ، وَأَوَّلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ. وَفِيهَا التَّنْبِيْهُ عَلَى ابْتِدَاءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ عَلَقَةٍ، وَأَنَّ مِنْ كَرَمِهِ تَعَالَى أَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، فَشَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ بِالْعِلْمِ، وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي امْتَنَزَ بِهِ أَبُو الْبَرِيَّةِ آدَمُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَالْعِلْمُ تَارَةً يَكُونُ فِي الْأَذْهَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي اللِّسَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي الْكِتَابَةِ بِالْبَنَانِ، ذَهَبِيٌّ وَلَفْظِيٌّ وَرَسْمِيٌّ، وَالرَّسْمِيُّ يَسْتَلْزِمُهُمَا مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ»¹. نستشفّ من هذا التفسير أنّ فعل الأمر (اقرأ) - وإنّ تكرر - فهو لم يكن على سبيل الإلزام، بقدر ما كان عطفًا وحنوًا من لدن الخالق سبحانه على خير خلقه كلّهم.

ويبنى فعل الأمر على:

1- السكون الظاهر على آخره: وذلك إذا كان:

أ - صحيح الآخر لم يتصل به شيء:

نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ﴾ المدثر/1 - 2 - 3 نلاحظ أنّ علامة البناء واحدة، وهي السكون، لأنّ الأفعال (قم، أنذر، كبر) صحيحة الآخر تخاطب مفرداً. يجمعها إعراب واحد، ألا وهو في مثل (قم): فعل أمر مبنيّ على السكون الظاهر في آخره، ونذكر هنا أنّ الفاعل في هذه الحالة مستتر وجوبا تقديره أنت.

وقد يُهَيَّأ لقارئ الآيات بادئ الحال أنّ تلك الأوامر هي من باب الإلزام وحسب، في حين أنّ في «قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ مُلَاطَفَةٌ فِي الْخُطَابِ مِنَ الْكَرِيمِ إِلَى الْحَبِيبِ إِذْ نَادَاهُ بِحَالِهِ، وَعَبَّرَ عَنْهُ بِصِفَتِهِ، وَمَ يَفْعَلُ يَا مُحَمَّدُ وَيَا فُلَانُ، لِيَسْتَشْعِرَ اللَّيْنَ وَالْمُلَاطَفَةَ مِنْ رَبِّهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ "الْمَزْمَلِ". وَمِثْلُهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ إِذْ نَامَ فِي الْمَسْجِدِ: (قُمْ

¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحق محمد نصر الدين وعبد الرحمان الهاشمي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1 2006، مج 1، ص 742.

أَبَا تُرَابٍ) وَكَانَ حَرَجَ مُعَاضِبًا لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَسَقَطَ رِدَاؤُهُ وَأَصَابَهُ تُرَابُهُ، حَرَجَهُ مُسَلِّمًا. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِحَدِيثَةِ لَيْلَةَ الْخُنْدِ: (فُمْ يَا نَوْمَانُ) وَقَدْ تَقَدَّمَ. الثَّالِثَةُ - قَوْلُهُ تَعَالَى: (فُمْ فَأَنْذِرْ) أَيِ خَوْفِ أَهْلِ مَكَّةَ وَحَدْرَهُمُ الْعَذَابَ إِنْ لَمْ يُسَلِّمُوا. وَقِيلَ: الْإِنْدَارُ هُنَا إِعْلَامُهُمْ بِنُبُوتِهِ، لِأَنَّهُ مُقَدِّمُهُ الرِّسَالَةَ. وَقِيلَ: هُوَ دُعَاؤُهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ، لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ بِهَا. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: فُمْ فَصَلِّ وَأْمُرْ بِالصَّلَاةِ. الرَّابِعَةُ - قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ) أَيِ سَيِّدِكَ وَمَالِكَ وَمُصْلِحِ أَمْرِكَ فَعَظَّمْ، وَصِفُهُ بِأَنَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَاحِبَةٌ أَوْ وَلَدٌ. وَفِي حَدِيثٍ أَنَّهُمْ قَالُوا: بِمَ تَفْتَحُ الصَّلَاةَ؟¹

فدلالة الأمر في سابق الآيات تأخذ منعطفًا آخر غير الذي يتبادر إلى الأذهان في الوهلة الأولى، ألا وهو الملاطفة والتهيئة لتحمل أعباء الرسالة.

قبل الانتقال إلى حالة أخرى نذكر أن بعض الأفعال لم يُسمع لها ماضٍ عند العرب، مثل فعل الأمر (ذَر) الوارد في قوله تعالى: ﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ المعارج/42. أمّا عن إعراب (ذرههم) فنقول: فعل أمر مبني على السكون الظاهر، فاعله ضمير مستتر تقديره أنت، وهم: ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به.

وَ(ذَر) «أَمْرٌ لَمْ يُسْمَعْ لَهُ مَاضٍ فِي كَلَامِهِمْ. وَهُوَ بِمَعْنَى التَّرْكِ. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَهَوًّا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ الأنعام/70. الْأَمْرُ بِتَرْكِهِمْ مُسْتَعْمَلٌ فِي لَازِمِهِ وَهُوَ قَلَّةُ جَدْوَى الْحَرْصِ عَلَى إِصْلَاحِهِمْ. وَلَيْسَ مُسْتَعْمَلًا فِي الْإِذْنِ بِمُتَارَكَتِهِمْ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَأْمُورٌ بِالِدَّوَامِ عَلَى دُعَائِهِمْ»².

فدلالة الترك هنا ليست مطلقة، بل موجهة نحو مقصد خاص بفئة ضالّة، غرقت في اللهو والمشتهيات، وعودتها إلى جادة الصواب في حكم المستحيل. ومنه قول خليل مطران [من الطويل]: ذَرُوا كُلَّ قَوْلٍ فَاقِدِ النَّفْعِ جَانِبًا وَمُدُّوا بِمَجَالِ الْفِعْلِ ، ذَلِكَ أَحْزَمٌ³

وإذا كان الفعل (ذَر) لم يسمع له ماضٍ عند العرب، فإن بعض الأفعال ورود ماضيها قليل مثل (ودع) الذي أمره (دع) في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، ج19 1964م، ص61.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1977، ج14، ص13-14.

³ - إيليا الحاوي، خليل مطران شاعر القطرين، د تحق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م، ج4، ص136.

عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا ﴿ الأَحْزَاب/48 دع: فعل أمر مبني على السكون الظاهر على آخره. ومثله كذلك قوله □: «دع ما يربيك إلى ما لا يربيك»¹ رواه الترمذي والنسائي.

ب - إذا اتصلت به نون النسوة:

في مثل قوله جلّ و علا: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأَحْزَاب/33. فنلاحظ الأفعال (قرن، أقمن، أطعن) مبنية على السكون الظاهر، لاتصالها بنون النسوة، وهذه الأخيرة ضمير متصل مبني على الفتح ومعنى ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ... ﴾ الأَحْزَاب/33. الزمنها ولا تُكثِرْنَ الخروج منها، وهذا أدب للنساء عامة؛ لأن المرأة إذا شغلت نفسها بعمل المطلوب منها في بيتها وفي خدمة زوجها وأولادها ومصالحهم لما اتسع الوقت للخروج؛ لذلك كثيراً ما يعود الزوج، فيجد زوجته مُنهمكة في أعمال البيت، وربما ضاق هو نفسه بذلك؛ لأنه لا يجدها متفرغة له. إذن: المرأة المفلسة في بيتها هي التي تُكثِر الخروج، وتقضي مصالح بيتها من خارج البيت، ولو أنها تعلمت الصناعات البسيطة لَقَضَتْ مصالح بيتها، ووفّرت على زوجها، وقد حكوا لنا عن النساء في دمياط مثلاً، كيف أن المرأة هناك تعمل كل شيء وتساعد زوجها، حتى أن البنت تتعلم حرفة، ولا ترهق أباهما عند زواجها، بل وتوفّر من المال ما يساعد زوجها بعد أن تتزوج.

2- السكون ويحرك بالكسر؛ منعاً لالتقاء الساكنين:

جاء في شرح ألفية ابن مالك: «والأصل في البناء أن يكون السكون، لأنه أخف من الحركة، ولا يحرك المبني إلا لسبب كالتخلص من التقاء الساكنين»². وجاء في محكم التنزيل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ التحريم/9 فالفعل (جاهد) كما هو وارد في الآية، فعل أمر مبني على السكون، حرك لالتقاء الساكنين، فاعله ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت. واعتبر صاحب التحرير والتنوير «إمّا أن يَكُونَ فِعْلٌ جَاهِدٌ مُسْتَعْمَلًا فِي حَقِيقَتِهِ وَجَوَازِهِ وَهُمَا الْجِهَادُ بِالسَّيْفِ وَالْجِهَادُ بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَالتَّعْرِيزُ لِلْمُنَافِقِ بِنَفَاقِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَلَّقُ عَلَيْهِ الْجِهَادُ بِجَوَازٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

¹ - النّووي الدمشقي، شرح الأربعيّن النّووية، شرح ابن دقيق العيد، دار ابن حزم بيروت، ط1، 1997م، ص63.

² - ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج 1، ص43.

"رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْعَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ"¹، وتأخذ صيغة (فاعل) للفعل (جاهد) دلالة مواصلة إحداث الفعل والمغالبة فيه حتى يظهر الله تعالى أمره.

3- حذف حرف العلة:

تتعلق هذه المسألة بالأفعال المعتلّ آخرها، وتسمّى في الصّرف بالناقصة، في مثل قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ لقمان/17. أفعال الأمر في الآية متعدّدة، غير أنّنا نريد واحدا منها كشاهد وهو (إنه): فعل أمر مبنيّ على حذف حرف العلة (الألف المقصورة)، فاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنت. أمّا دلالة فعل التّهي هنا، فهي مرتبطة بالاستمرارية في المستقبل، وقد أكّد النّحاة أنّ أكثر حالات فعل الأمر دلالاته على الاستقبال، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الأحزاب/1. أي «واصل تقواك حالاً، كما فعلتها سابقاً، وواصلها مستقبلاً، فلا تنقطع عنها أبداً»²، وفي هذا التفسير توجيه دلالي لمعنى الفعل (اتّق)؛ حيث يسود الاعتقاد الأوّل بأنّ المأمور به هو على ضلال في الأصل أو بعيد عن الصّواب. أمّا إعراب الفعل اتّق: فعل أمر مبنيّ على حذف حرف العلة (الياء)، وفاعله ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبَنِّبْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبَنِّبْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ التّحريم/11. الشّاهد هو الفعل (ابن) علامة بنائه حذف حرف العلة.

4- حذف النون:

يبني فعل الأمر على حذف النون إذا اتّصلت به ألف الاثنين، أو واو الجماعة، أو ياء المخاطبة قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ الأعراف/29. تضمّنت الآية ثلاثة أوامر؛ أولها بجملة خبرية يظهره الفعل (أمر)، وذلك تفصيل آخر يأتي بيانه في حينه، أمّا الأمران الصّريحان فوردوا في الفعلين (أقيموا ، ادعوه) «وَأَقَامَةُ الْوُجُوهِ تَمَثِيلٌ لِكَمَالِ الْإِقْبَالِ عَلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، فِي مَوَاضِعِ عِبَادَتِهِ، بِحَالِ الْمُتَهَيِّئِ لِمُشَاهَدَةِ أَمْرِ مُهِمٍّ حِينَ يُوجَّهُ وَجْهَهُ إِلَىٰ صَوْبِهِ، لَا يَلْتَمِثُ يَمَنَةً

¹ - ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج 28، ص 372.

² - الشّعراوي، تفسير الشّعراوي - الخواطر، مطابع أخبار اليوم، نشر في 1997م، ج 19، ص 118.

وَلَا يَسْرَرَةٌ، فَذَلِكَ التَّوَجُّهُ الْمَحْضُ يُطْلَقُ عَلَيْهِ إِقَامَةٌ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْوَجْهَ قَائِمًا، أَيَّ غَيْرِ مُتَعَاضٍ وَلَا مُتَوَانٍ فِي التَّوَجُّهِ، وَهُوَ فِي إِطْلَاقِ الْقِيَامِ عَلَى الْقُوَّةِ فِي الْفِعْلِ كَمَا يُقَالُ: قَامَتِ الشُّوقُ، وَقَامَتِ الصَّلَاةُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ/3 عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ الرُّوم/30، فَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِإِقَامَةِ الْوُجُوهِ عِنْدَ الْمَسَاجِدِ»¹

وعليه يمكننا القول إنّ في استخدام الفعل (أقيموا) توجيهها دلاليًا من معنى الإنشاء وإحداث شيء جديد كالجدار مثلاً، إلى التوجه الخالص نحو وجهه سبحانه وتعالى بالمساجد، لتحقيق رابط روحي قوي بين العبد وخالقه.

أما بشأن إعراب الفعل أقيموا: فهو فعل أمر مبني على حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو: ضمير متصل مبني على السكون في محلّ رفع فاعل. والألف للتفريق. وينسحب الإعراب ذاته على الفعل (ادعوه) بإسقاط ألف التفريق ليحل محلها الهاء: وهو ضمير متصل مبني على الضمّ في محلّ نصب مفعول به.

وعن ألف الاثنين نورد قوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ طه/47. شاهد المراد هنا هو فعل الأمر (قولوا): فعل أمر مبني على حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة. وألف التثنية ضمير متصل مبني على السكون في محلّ رفع فاعل.

ثالث حالة في الأفعال الخمسة هي الاتصال بياء المؤنثة المخاطبة، ونورد للتّمثيل لها قوله جلّ وعلا: ﴿ فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ مريم/26. والشواهد هنا عدّة (كلي، اشربي، قرّي، قولي): وهي أفعال أمر بُنيت على حذف النون لأنّها من الأفعال الخمسة، وياء المخاطبة في جميعها ضمير متصل مبني على السكون في محلّ رفع فاعل.

ثانياً: الفعل المضارع المقرون بلام الأمر:

بعد استعراضنا لتشكلات صيغة فعل الأمر الصريح مع إعراب كلّ حالة، ها هي ذي صورة أخرى تبرز بجلاء سعة اللغة العربيّة، واستيعابها للمعاني المختلفة، باختلاف التعابير «ولاقتصار فعل الأمر على مقام المخاطب، احتياج إلى صيغة أخرى يتوصّل بها إلى إفادة معنى الأمر، في مقام الغيبة والتكلم، فكانت صيغة المضارع المقترن بلام الطلب صالحة لأن تستعمل

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص87.

مع الغائب نحو قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق/7).¹

يوحي الفعل (ينفق) مع لام الطلب للوهلة الأولى بشدة الأمر، وخاصة وأنه تكوّن من حروف جهرية - عدا الفاء - ختمت بقلقلة؛ إذ يهيأ للسامع أنّ لام الطلب حلت محلّ دافع صخرة بكلّ ما أوتي من قوّة غير أنّنا حين نتلمّس المعنى في التّفسير نجد الأمر مختلفا، فالفعل (لينفق) ووجه لدلالة أخرى؛ إذ «تُقَدَّرُ النَّفَقَةُ بِحَسَبِ الْحَالَةِ مِنَ الْمُنْفِقِ وَالْحَاجَةِ مِنَ الْمُنْفِقِ عَلَيْهِ بِالِاجْتِهَادِ عَلَى مَجْرَى حَيَاةِ الْعَادَةِ، فَيَنْظُرُ الْمُفْتِي إِلَى قَدْرِ حَاجَةِ الْمُنْفِقِ، عَلَيْهِ ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى حَالَةِ الْمُنْفِقِ، فَإِنْ احْتَمَلَتِ الْحَالَةُ أَمْضَاهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ اقْتَصَرَتْ حَالَتُهُ عَلَى حَاجَةِ الْمُنْفِقِ عَلَيْهِ رَدَّهَا إِلَى قَدْرِ احْتِمَالِهِ. وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَصْحَابُهُ: النَّفَقَةُ مُقَدَّرَةٌ مُحَدَّدَةٌ، وَلَا اجْتِهَادَ لِلْحَاكِمِ وَلَا لِمُفْتٍ فِيهَا. وَتَقْدِيرُهَا هُوَ بِحَالِ الزَّوْجِ وَحَدَهُ مِنْ يُسْرِهِ وَعُسْرِهِ»²، فطلب النّفقة بهذا الطّرح يكون حانيا مراعيًا لظروف الزوج لا تعسفا وقهرا. وبالتّحول إلى الجانب النحويّ للفعل لينفق: فاللام للأمر مبنية على الكسر لا محلّ لها من الإعراب. (ينفق) فعل مضارع مجزوم بلام الطلب (للدلالة على الأمر) وعلامة جزمه السكون الظاهر على آخره. والفاعل ضمير مستتر تقديره هو. ونجد المضارع المقترن بلام الأمر مع المتكلم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (العنكبوت/12). ففي الفعل (ولنحمل) إعجاز قرآني حيث يأمر المتكلم نفسه، ويلزمها بأداء فعل ما. ومن إعجاز القرآن الكريم إلى بلاغة حديث النّبوة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»³. رواه البخاري ومسلم.

¹ - محمد طاهر الحمصي، من نحو المباني إلى نحو المعاني، د تحق، دار سعد الدّين، دمشق، ط1، 2003م، ص279.

² - تفسير القرطبي، ص170.

³ - التّوويّ دمشقي، شرح الأربعين التّووية، ص81.

ثالثاً: اسم فعل الأمر:

وجه آخر للأمر ورد عن الأصوليين والنحاة الأوائل، وقد تضمنت آي الذكر الحكيم عديد الشواهد المؤكدة على حلول بعض الأسماء موضع الأفعال «ولما كان بعض كلمات الأمر مختلفاً فيه: هل فعل أو اسم؟ تبهت عليه، كما فعلت مثل ذلك في الفعل الماضي، وهو ثلاثة: هَلَمْ، وهات، وتعال»¹، وجاء في شرح ألفية ابن مالك بهذا الخصوص:

«من [الرجز] والأمر إن لم يك للنون محل فيه هو اسم نحو صه وحيهَلْ

فصه وحيهَلْ: اسمان، ولكن دلاً على الأمر، لعدم قبولها نون التوكيد، فلا تقول: صهَهْ ولا حيهَلْرَنْ، وإن كانت صه بمعنى اسكت، وحيهَلْ بمعنى أقبل، فالفارق بينهما قبول نون التوكيد وعدمه، نحو اسكُتَنْ وَأَقْبِلَنْ، ولا يجوز ذلك في صه وحيهَلْ»².

ويمكن تقسيم أسماء الأفعال، إلى قسمين أساسيين:

الأول: من حيث دلالاتها على الفعلية (الحدث والزمان):

«تنقسم هذه الألفاظ باعتبار نياتها عن الأفعال ثلاثة أقسام؛ ومنها ما سمي به الأمر، وهو أكثرها استعمالاً في اللغة»³، نحو قوله عز وجل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ الأحزاب/18.

«فهَلَمْ: اسم فعل أمر بمعنى تعالوا، وليست فعل أمر، لأن ليس كل ما دل على الطلب فهو فعل أمر أمّا لو كنا نحاطب واحداً ونقول: هَلُمَّ إلينا. ونحاطب اثنين فنقول: هَلُمَّ إلينا ونحاطب ثلاثة ونقول: هَلِّمُوا هَلِّمُوا إلينا، لكان فعل أمر؛ ولهذا نقول قُمْ وقوموا؛ فهي إذن اسم فعل أمر تحاطب بها الواحد والاثنين والجماعة ولا تتغير، هذا على لغة أهل الحجاز كما يقول العثيمين»⁴. وعليه قول الشاعر:

يا أيُّها النَّاسُ أَلَا هَلُمَّ

¹ - بركات يوسف عبّود، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تصحيح محمد البقاعي دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص43.

² - ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج 1 ص30.

³ - هادي نهر، الإتيان في النحو وإعراب القرآن، دار عالم الكتب الحديث، عمّان، الأردن، ط1، 1431هـ - 2010م، ص888-889.

⁴ - محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، سورة الأحزاب، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1436 هـ، ص143 - 144.

أما عن إعراب هلم فنقول: اسم فعل أمر بمعنى تعال أو تعالوا (حسب السياق) والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت أو أنتم، في الآية السابقة.

يقول ابن جني في هذا: «ثم رأيناهم كلهم في هذا مجتمعين على فتح آخر هلم، وليس أحد يكسر الميم ولا يضمها، فدل ذلك على أنها قد خُلِجَتْ عن طريق الفعلية وأُخْلِصَتْ اسما للفعل...»¹.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْنِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يوسف/23 «بمعنى: هلم لك بلغة وافقت النبطية»²

ف"هَيْتَ": اسم فعل أمر بمعنى: أَسْرِعْ، وفاعله ضمير مخاطب تقديره أنت.

الثاني: من حيث أصولها:

أسماء الأفعال إما موضوعة وتسمى (مرتحلة) وهي التي وضعت في اللغة من أول أمرها أسماء أفعال وأكثرها سماعي في اللغة لا ارتباط له بأصل اسمي أو فعلي.

أما القياسي منها فهو قليل، يتحدّد بما يمكن صوغه من الفعل الثلاثي المنصرف التام على صيغة (فَعَالٍ) ك (حَذَارٍ وَنَزَالٍ) من: حذر، ونزل. وإما منقولة، ويقصد بها ما استعملت في غير اسم الفعل، ثم نقلت إليه، والنقل يكون إما:

أ- عن جار ومجرور: «نحو: عليكم، وإليك»³.

نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المائدة/105. عليكم: اسم فعل امر بمعنى: «الزموا أنفسكم هدايتها وإصلاحها»⁴.

¹ - ابن جني، الخصائص، تحق محمد علي النّجار، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص36.

² - الرضي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحق، يحي بشير مصري، هامش، القسم الثاني، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1417هـ - 1996م، مج1، ص307-308.

³ - هادي نحر، الإتقان في النحو وإعراب القرآن، مج3، ص890 - 891.

⁴ - أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير، راسم للدعاية والإعلان، ط3، 1410هـ - 1990م، ج2، ص22.

ب- عن مصدر: نحو: رُوِيَ بِمَعْنَى: أمهل، وبله بمعنى: اترك، وهذان لهما استعمالان:
 - فإذا بُنِيَ عَلَى الْفَتْحِ وَوَلِيَهُمَا مَنْصُوبٌ كَانَا اسْمِي فَعْلٍ، وَمَا بَعْدَهُمَا مَفْعُولٌ بِهِ.
 - وإذا أعربا ووليتهما اسم مجرور كانا مصدرين بدلين من فعلهما، وما بعدهما مضاف إليه.
 وقد ورد (رويذاً) منصوباً على المصدرية بدلاً من فعله¹، في قوله تعالى: ﴿فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا﴾. الطارق/17.
 «رويذا: اسم فعل أمر بمعنى أمهل»².
 وجاءت في درّ الأسرار بمعنى: «إمهالا، مالا طول له»³.

ج- عن ظرف المكان: نحو دونك بمعنى: خذ، ومكانك بمعنى، اثبت. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَيَرْثُهَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾ يونس/28. واعلم أن قوله (مكانكم) كلمة مختصة بالتهديد والوعيد، والمراد أنه تعالى يقول للعابدين والمعبودين مكانكم، أي: «الزموا مكانكم حتى تُسألوا»⁴
 يقول ابن فارس: «كأنه قيل لهم: انتظروا مكانكم حتى يفصل بينكم»⁵.
 «ومنه قول الشاعر [من الوافر]:

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

فجوابه بالجزم دليل على أنه كأنه قال: اثبتي تحمدي أو تستريحي»⁶

د- عن تنبيه: نحو قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ أَكْتَابِيهِ﴾ الحاقة/19.

ف"هاؤم": اسم فعل أمر منقول عن التنبيه (ها) بمعنى: خذ، وهاؤم بمعنى: خذوا.

¹ - هادي نهر، الإتيان في النحو وإعراب القرآن، مج 3، ص892.

² - عبد الزحمان حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها)، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ - 1996م، ج1، ص230.

³ - محمود بن محمد نسيب الحمزاوي، درّ الأسرار في تفسير القرآن، تحق، أسامة عبد العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ج2، ص586.

⁴ - محمد التازي فخر الدين، تفسير الفخر التازي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ - 1981م، ج17، ص86.

⁵ - قيس إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د تحق، بيت الحكمة جامعة بغداد، د ط، ص183.

⁶ - ابن جني، الخصائص، ص656.

- «ومنه صة بمعنى: أسكت، ومه بمعنى: أكفف، وآمين بمعنى: استجب، وبله بمعنى: دع»¹
«ونزال بمعنى: انزل، ودراك بمعنى: أدرك»²

رابعاً: المصدر النائب عن فعل الأمر:

«ويأتي المصدر عاملاً على أنه نائب مناب فعله في جملة طلبية، الطلب فيها ليس طلباً محضاً وقد يليه مفعول به وقد لا يليه»³ «كما في قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضْلًا أَعْمَاهُمْ﴾ محمد/8، وقوله: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هود/44. أي هلاكاً لهم»⁴
أي المصدر (تعسا) ناب عن فعل الأمر (اتعسوا).

فهاتان الآيتان تؤكدان أنّ هناك شيئاً ما قد وقع، «وهو (التعس والإبعاد)، فجيء بالمصدر هنا، ليبين تحقق هذا الوقع»⁵.

وقوله أيضاً: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاكُ﴾ محمد/4. وقد فسّر البيضاوي بأنّ أصله: «فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذفت الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول ضمناً إلى التأكيد والاختصار، والتعبير به عن القتل إشعاراً بأنه ينبغي أن يكون بضرب الرقاب حيث أمكن، وتصوير له بأشبع صورته»⁶
وقوله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء/23.
«أي أحسن إليهم واشكرهم على نعمة التربية والرحمة»⁷.

¹ - حدي مادي ونذيرة حليلو، دلالة الأمر في سورة البقرة - دراسة بلاغية -، مذكرة ماستر علوم اللسان، كلية الآداب واللغات، الوادي، الجزائر، 2016 - 2017م، ص13.

² - فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها، دار الفرقان، فرع إربد مقابل جامعة اليرموك، ط1، 1405هـ - 1985م، ص149.

³ - ينظر، هادي نحر، الإتقان في النحو وإعراب القرآن، مج3، ص875 - 876.

⁴ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006م، ج11، ص127.

⁵ - عيدة ناغش، صيغ الأمر في الحديث النبوي، دراسة تداولية، جسور المعرفة، العدد العاشر، جوان 2017، بومرداس، الجزائر، ص393.

⁶ - ناصر الدين البيضاوي، تفسير البيضاوي، دتحق، دار احياء التراث العرب، بيروت، لبنان، ط1، ج5، ص120.

⁷ - ابن عاشور، التقريب لتفسير التحرير والتنوير، دار ابن خزيمة، ج1، ص509.

فإذا تأملت هذه الطائفة من الأمثلة رأيتَ كلاً منها يشتمل على صيغة يطلب بها على وجه التكليف والإلزام حصول شيء لم يكن حاصلًا وقت الطلب، ثمّ إذا أمّعت النظر رأيت طالب الفعل فيها أعظم وأعلى ممن طُلب الفعل منه. وهذا هو الأمر الحقيقي، وإذا تأملت صيغته رأيتها لا تخرج عن أربع هي: فعل الأمر، والمضارع المقرون بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

الفصل الأول: نحوية الأمر وبلاغيته من خلال كتب التفسير

المبحث الثاني: أسلوب الأمر وأغراضه البلاغية في القرآن الكريم

أولاً: خروج الأمر إلى معنى الدعاء

ثانياً: خروج الأمر إلى معنى الوعيد والتهديد

ثالثاً: خروج الأمر إلى معنى الإباحة

رابعاً: خروج الأمر إلى معنى التعجيز والتبكيث

خامساً: خروج الأمر إلى معنى التوبيخ والتقريع

سادساً: خروج الأمر إلى معنى السخرية والاستهزاء

سابعاً: خروج الأمر إلى معنى التسوية

المبحث الثاني: أسلوب الأمر وأغراضه البلاغية في القرآن الكريم

أسلوب الأمر كغيره من الأساليب البلاغية، يأتي حقيقياً معبراً عن الأصل، ويخرج عن معناه إلى معان عدّة يتحكّم فيها السياق، من تلك الأغراض (التعجيز والسخرية والدعاء والالتماس والاستعطاف وغيرها كثير...) وصيغ الأمر «قد تستعمل في غير الطلب، فتفيد معان أخرى عديدة تستفاد من السياق وقرائن الكلام، وفي القرآن الكريم تجد النظم كلّه بكلماته وإيقاعاته، يسهم في تجلّية المعنى وبعث الحياة فيه»¹

وعناية البلاغيين ببنية الأمر «لا تقتصر على كونها بنية إنشائية طلبية، وإنما تتجاوزها إلى كونها بنية توليدية كغيرها من بني الإنشاء، لأنها لا تلتزم بالمعنى الأصلي، بل تحاول إنتاج ما لم تتعوّد اللّغة إنتاجه»²

ومما سبق يتضح أن للأمر دلالتين، الأولى حقيقية والثانية مجازية، أو بلاغية تفهم من سياق الكلام من هذه الأغراض نذكر أهمّها:
أولاً: خروج الأمر إلى معنى الدعاء:

«وهو الطّلب من الأعلى على سبيل التّضرّع»³، ومن زاوية أخرى هو توجيه دلالي للأمر، يحمل معنى مخالفاً للمألوف عند السّامعين «ويسمّيه ابن فارس المسألة»⁴.
ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ البقرة / 201. فالله تعالى لا يأمره أحد من خلقه؛ إذ فعل الأمر في الآية مجازي خرج عن معناه الأصلي إلى غرض الدعاء.

«وسر بلاغة التعبير بالأمر في مقام الدعاء، إظهار كمال الخضوع للمولى عزّ وجلّ، وبيان شدّة رغبة العبد»⁵ في التذلل لخالقه سبحانه، وإظهار حاجة المخلوق الضّعيف للخالق

¹ - صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1406هـ - 1986م، ص16.

² - حدي مادي ونذيرة حليلو، دلالة الأمر في سورة البقرة - دراسة بلاغية، ص13 - 14.

³ - بماء الدين السبكي، عروس الأفراح، تحق، عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1423هـ - 2003م، ج1، ص466.

⁴ - أحمد ابن فارس، الصحاحي في فقه اللّغة العربيّة ومسائله وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ - 1997م، ص138.

⁵ - عبد العزيز عبد المعطي عرفه، من بلاغة النظم العربي، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1405هـ - 1984م، ج2، ص82.

جلّت قدرته، مع اليقين التام بأنّ الله العليّ القدير لن يخيّب رجاء عبده، «وفي الحصول على الحسنة في الدنيا والآخرة، وطلب النجاة من النار، فكان طلب المخلوق من خالقه على وجه التوسّل والابتهاال»¹

وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المائدة/83.

فصيغة الأمر في قوله تعالى (فاكتبنا) تدل على الدعاء، وهي لا تحمل صيغة الإيجاب والإلزام لأنها ليست استعلاءً. يقول سيّد قطب: «فهذا مشهد حيّ يرتسم من التصوير القرآني لهذه الفئة من الناس... أنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من هذا القرآن اهتزت مشاعرهم، ولانت قلوبهم، وفاضت أعينهم بالدمع تعبيراً عن التأثير العميق بالحقّ الذي سمعوه...»². لأنّهم عرفوا الحقّ الذي نزل على محمد □ وفرحوا به.

يقول القسيسون والرهبان: «ربّنا آمنا بالقرآن، وبرسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم، وشهدنا أنه حقّ وصدق، فاكتبنا مع أمة نبيك محمد صلى الله عليه وسلّم الذين يشهدون بالحقّ، وينالون شرف الشهادة على الأمم يوم القيامة»³.

ومن الأمر المراد به الدعاء، مخاطبة أبي الطيّب المتنبّي لسيف الدولة [من الطويل]:

أزلّ حسدَ الحُسّادِ عنيّ بكتبهم فأنّت الذي صيرتَهُم لي حُسّداً⁴

عند قراءتنا للبيت نجد في أسلوب الأمر بالفعل (أزل) توجيهها دلالياً يأخذ بالفعل إلى وجهة أخرى.

«فصيغة الأمر في هذا البيت الشعري لا يُراد بها معناها الأصليّ، لأنّ المتنبّي يُخاطبُ مليكته، والمليك لا يأمره أحد من شعبه، وإنّما يراد بها الدعاء»⁵.

¹ - أشرف حسن محمد حسن وعبير بنت علي أحمد عفيفي، البلاغة النبوية في كتاب التفسير من صحيح البخاري علم المعاني، ط1، 1437 هـ - 2016 م، ص33.

² - خليل عبد المعطي المايح، أسلوبا الأمر والنهي في سورة المائدة دراسة دلالية، جامعة البصرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، مجلّة آداب ذي قار، العدد الخامس، مج2، شباط 2012م، ص93-94.

³ - مجد بن أحمد مكّي، المعين على تدبّر الكتاب المبين، دار نوادر للمكتبات والنشر، ط1، 1431 هـ - 2010 م، ص122.

⁴ - عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبّي، مراجعة محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2006م، ج1، ص258.

⁵ - علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف بمصر، ص176-178.

ثانيا: خروج الأمر إلى معنى الوعيد والتهديد:

«حين تستعمل الصيغة في سياق عدم الرضى بالمأمور به»¹. نحو قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الزمر/14 - 15. فتوحي الدلالة هنا أنّ المولى جلّ وعلا ترك المشركين في حالة خيار «فالأمر في قوله: فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَى التَّخْلِيَةِ، وَيُعْبَرُ عَنْهُ بِالتَّسْوِيَةِ. وَالْمَقْصُودُ التَّسْوِيَةُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ فَتَكُونُ التَّسْوِيَةُ كِنَايَةً عَنْ قَلَّةِ الْإِكْتِرَاطِ بِفِعْلِ الْمُخَاطَبِ، أَي أَنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّنِي كَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ 29 ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ﴾ أَيِ اعْبُدُوا أَيَّ شَيْءٍ شِئْتُمْ عِبَادَتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَجَعَلَتْ الصَّلَاةُ هُنَا فِعْلَ الْمَشِيئَةِ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ رَائِدَهُمْ فِي تَعْيِينِ مَعْبُودَاتِهِمْ هُوَ مُجَرَّدُ الْمَشِيئَةِ وَالْهَوَى بِأَلَا دَلِيلٍ»².

«صيغة أمر على جهة التهديد والوعيد؛ أي: اعبدوا ما شئتم من دون الله من الأوثان والأصنام فسوف ترون عاقبة كفركم»³.

وجاء في تعريف آخر «أنّ التهديد هو تخويف مطلقاً»⁴ قال الزجاج: «لفظه لفظ الأمر ومعناه الوعيد»⁵.

ومن الأمر المراد به التهديد، قوله عزّ وجل: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الحجر/3. هذا تهديد لهم ووعيد أكيد. «وَتَفَرَّعَ عَلَى التَّعْرِيفِ التَّصْرِيحُ بِالْوَعِيدِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بِأَنَّهُ نَمَّا يُسْتَعْمَلُ فِي الْوَعِيدِ كَثِيرًا حَتَّى صَارَ كَالْحَقِيقَةِ. وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ لِإِمْتِهَانِهِمْ أَجَلًا مَعْلُومًا كَقَوْلِهِ: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ سُورَةُ الْفُرْقَانِ / 42»⁶

¹ - عيسى علي العاكوب، الكافي في علوم البلاغة العربية، مطبعة الانتصار، منشورات الجامعة المفتوحة، ط1، 1993م، ص254.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 23، ص359.

³ - محمد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1421هـ - 2001م، ج3، ص67.

⁴ - بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، د تحق، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، ط1، 1975م، مج2 ص686.

⁵ - محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1428هـ - 2007م، ص1318.

⁶ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص14.

والمعنى: «اتركهم على ما هم عليه من الاشتغال بالأكل ونحوه من متاع الدنيا فسوف يرون عاقبة أمرهم وسوء صنيعهم»¹.

قال الزمخشري «فإن قلت كيف أجاز أن يأمر الله تعالى بالكفر، وبأن يعمل العصاة ما شاؤوا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه؟ قلت هو مجاز عن الخذلان والتخليه وأن ذلك الأمر متسخط إلى غاية»².

ثالثاً: خروج الأمر إلى معنى الإباحة:

«وذلك إذا استعملت صيغة الأمر في مقام تَوَهَّم فيه السامع عدم جواز الجمع بين أمرين، فيكون الأمر إيذاناً له بالفعل، فله أن يفعل، وله أن يترك»³. نحو قوله تعالى: ﴿وَلَللَّيْلِ نَافِثَةٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ آلِ عِصَىٰ فَتًى يَلْمُوكُم مَّا كُنْتُمْ تُوعَىٰ بِهِ وَالَّذِينَ أُكْرِهُوا فَسَادُوا وَاللَّهُ يَكْتُبُ لِمَن يَشَاءُ غَدَابَةً وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة/57. «المراد من الأمر إباحة، أي: أمرناهم بالأكل مما رزقناهم»⁴.

ومن الأمر في معنى الإباحة، قوله تعالى في شأن الصائمين: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ... وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾ البقرة/187.

والغرض من الأمر في هذه الآية الإباحة، «لأنَّ سبحانه أباح الأكل والشرب، مع ما تقدّم من إباحة الأكل والجماع في أي ليل شاء الصائم، إلى أن يتبين ضياء الصبح من سواد الليل»⁵.

«والتعبير بصيغة الأمر في مكان الإباحة، للحثّ على تناول السحور كأنه أمر مطلوب»⁶.

ومن ذلك ما جاء في قول كُثَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ «عزّة»: [من الطويل]:

أَسِيْبِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي، لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا، وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ

¹ - الشوكاني، فتح القدير، ص755.

² - محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثرها في الدراسات البلاغية، د تحق، دار الفكر العربي، د ط، ص307.

³ - محمد شعبان علوان، بلاغة القرآن، د تحق، دار العربية للنشر، ط2، 1998م، ص44.

⁴ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص160.

⁵ - المصدر نفسه، ص343.

⁶ - عبد العزيز عبد المعطي عرفه، من بلاغة النظم العربي، ج2، ص74.

أي: لا أنتِ ملومةٌ ولا مقليةٌ.

ووجه حسنه إظهار الرضا بوقوع الدّاخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب، أي: «مهما اخترتِ في حقّي من الإساءة والإحسان فأنا راض به غاية الرضا، فعامليني بهما، وانظري: هل تتفاوت حالي معك في الحالين؟»¹

رابعاً: خروج الأمر إلى معنى التعجيز والتبكيث:

التعجيز محاولة من أحد طرفي الحوار جعل الآخر لاحول له ولا قوّة، وذلك حين يطلب ما هو متعذّر، أو في حكم المستحيل. «وهو مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه، إظهاراً لعجزه وضعفه وعدم قدرته، وذلك من قبيل التحدّي». ² نحو قوله تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ لقمان/11.

أي أروني ماذا خلقت لكم أهتكم، فإذا أريتموني شيئاً ممّا خلقت قد يكون عذراً لكم في تشريكها معي في العبادة، «أما والأمر ليس كذلك ولا يمكن أن يوجد خالق سوى الرب عزّ وجلّ. والأمر هنا (أروني) للتعجيز»³.

«في هذه الآية قوّة التسجيل على المشركين بالعجز، وفي ذلك لفتهم إلى النظر في حالهم، وما هم عليه من عماية الضلالة»⁴. فأسلوب الأمر في الآية (أروني) تجاوز معناه الظاهر، إلى قهر المشركين وإشعارهم بالدون، وهو ما يؤكده الزمخشري في الكشاف حين يشير قائلاً: «وَالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ أَهْتَمَّ، بَكْتَهُمْ بِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الْعَظِيمَةَ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ وَأَنْشَأَهُ. فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقْتُمْ أَهْتَكُمْ حَتَّى اسْتَوْجَبُوا عِنْدَكُمْ الْعِبَادَةَ، ثُمَّ أَضْرَبُ عَنْ تَبْكِيَّتِهِمْ إِلَى التَّسْجِيلِ عَلَيْهِمْ بِالتَّوَرِّطِ فِي ضَلَالٍ لَيْسَ بَعْدَهُ ضَلَالٌ»⁵.

ومن دلالة الأمر على التعجيز قوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة/23.

¹ - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحق، غريد الشيخ محمد وإيمان الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 2004م، ص116.

² - عبد العزيز عتيق، علم المعاني (في البلاغة العربية)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص80.

³ - العثيمين تفسير القرآن الكريم، سورة لقمان، ص68.

⁴ - عبد العزيز عبد المعطي عرفة، من بلاغة التّظم العربي، ج2، ص78 - 79.

⁵ - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، د، تحق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة، 1407هـ، ج2، ص835.

أي أدعوا الذين يشهدون لكم من دون الله إن كنتم صادقين في قولكم من أنكم قادرين على المعارضة، وهذا تعجيز¹ وتبكييت لهم وإظهار لعجزهم وقصورهم عن الإتيان بمثله. فالتبكييت يبلغ غايته إذا جاء بصيغة الأمر. وواضح أن الفعل (فأتوا) اتخذ منحى دلاليا مفاده صعق المشركين.

خامسا: خروج الأمر إلى معنى التوبيخ والتقريع:

مر بنا أن التوبيخ والتقريع يكونان في مقام التأنيب والتعنيف مع الإيجاع باللوم، ومن هذه المشاهد العصبية، ما نجده في موقف من مواقف أهوال يوم القيامة كما هو في قوله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (29) انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ المرسلات/29-30-31. «فالفعل (انطلقوا) في الموضوعين يصور حال سكان جهنم وكيف هم بادون فيها من ضنك وعذاب، وفوق ذلك كله يؤمرون بأمر². فيقال لهم: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ في دار الدنيا، «وهذا الكلام تقوله لهم خزنة النار تقريبا وتوبيخا، أي: انطلقوا إلى عذاب جهنم³. ثم بعد ذلك يكرر الفعل ليفيد التأكيد، مما يزيد الأمر سوءا بهم.

وليكون التقدير: «هذا جزاء ما كنتم تزرعون في الدنيا فاحصدوا ما غنتموه، وهو حسب جهنم وجحيمها⁴. فالمولى سبحانه يزرع هؤلاء، ويقرع في آذانهم التي صمّت عن سماع الحق.

ونحوه قوله تعالى: ﴿احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ الصافات/22-23 والشاهد هنا الفعل (اهدوهم)، أي فعرفوهم طريق الجحيم ووجهوهم إليها.

«فإذا لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم، فليهتدوا اليوم إلى صراط الجحيم¹. ففي لفظ (اهدوهم) تقريع صراح يصل إلى حدود التهكم والسخرية. لأن الهداية لا تكون إلى صراط الجحيم.

¹ - الشوكاني، فتح القدير، ص37.

² - فلاح حسن محمد الجبوري، قطوف دانية في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1971 ص31.

³ - الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص478.

⁴ - فلاح حسن محمد الجبوري، قطوف دانية، ص31.

سادسا: خروج الأمر إلى معنى السخرية والاستهزاء:

يفيد الأمر علاوة على ما هو عليه من الاستعلاء والإلزام السخرية والاستهزاء، أي: الإهانة والتحقير للمأمورين، وذلك عندما يكون المخاطب قليل الشأن في نفس الأمر، مع عدم المبالاة به، لذا لا يحمل على ظاهره، لأنه يخالف ما في نفس الأمر بالفعل، فمثلا قول الكفار للنبي □ في سورة يونس يُخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقرآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ (15)﴾ يونس/15. فالشاهد هو فعل الأمر (أتت) المنبئ عن غطرسة الضالين وتعتتهم، فوجد أنهم لما سمعوا ما غاظهم مما تلاه عليهم من القرآن من ذم عبادة الأوثان، والوعيد الشديد لمن عبدها، طلبوا منه أحد الأمرين:

إما الإتيان بغير هذا القرآن مع بقاءه على حاله، أو تبديله على ما يوافق هواهم ويلائم غرضهم، مع علمهم أنه لا يستطيع الإتيان بشيء من عنده.

«ولا يخفى على القارئ أنّ هذا محض الاستهزاء والسخرية منهم بكتاب الله ورسوله الكريم □»².

كما ورد أسلوب تهكمي جلي في قوله جلّت قدرته: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكذِّبُونَ (22) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (23) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الانشقاق/24. فأنت تبشّر بالنبأ السارّ وتسارع في ذلك «فالبشارة تصلح للأشياء المحبوبة لا المكروهة، والعذاب وآلامه من الأشياء المقيتة التي لا تصلح لها البشارة، فوضع التبشير موضع الإنذار، على سبيل التهكم والسخرية والاستهزاء بهم»³. ويذهب القرطبي المذهب نفسه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي موجع في جهنم على تكذيبهم. أي اجعل ذلك بمنزلة البشارة⁴. منتهى الإذلال أن تحوّل بشارتك إلى سخرية تتلاعب فيها بمشاعر المخاطب، وتوجيه الدلالة هنا معجز مقرون بأي الذكر الحكيم، في صورة أخرى من صور الوجدانية والجرّوت الرّبّاني.

¹ - الصابوني، صفوة التفسير، ج3، ص28.

² - فلاح حسن محمد الجبّوري، قطوف دانية، ص31 - 32.

³ - عبد القادر حسين، البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم، جزء عمّ، د تحق، دار غريب، القاهرة، د ط، ص66.

⁴ - تفسير القرطبي، ص282.

سابعاً: خروج الأمر إلى معنى التسوية:

التسوية مفهوم بلاغي يصادفنا حين يستظل أمران بحكم واحد «وذلك في مقام توهم فيه المخاطب أن أحد الطرفين (الفعل والتّرك) أرجح من الآخر وأنفع له، فيدفع ذلك ويسوي بينهما»¹. من ذلك قوله تعالى مخاطباً الكفار: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الملك/13.

«وَصِيغَةُ الْأَمْرِ فِي وَأَسِرُّوا وَاجْهَرُوا مُسْتَعْمَلَةٌ فِي التَّسْوِيَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ الطّور/16، وَهَذَا غَالِبُ أَحْوَالِ صِيغَةِ أَفْعَلٍ إِذَا جَاءَتْ مَعَهَا أَوْ عَاطِفَةٌ نَقِيضٍ أَحَدِ الْفِعْلَيْنِ عَلَى نَقِيضِهِ. فَقَوْلُهُ: إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ تَعْلِيلٌ لِلتَّسْوِيَةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ صِيغَةِ الْأَمْرِ بِقَرِينَةِ الْمَقَامِ وَسَبَبِ النُّزُولِ، أَيْ فَسَوَاءٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ الْإِسْرَارُ وَالْإِجْهَارُ لِأَنَّ عِلْمَهُ مُحِيطٌ بِمَا يَخْتَلِجُ فِي صُدُورِ النَّاسِ بَلْهَ مَا يُسْرُونَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَلِذَلِكَ جِيءَ بِوَصْفِ عَلِيمٍ إِذِ الْعَلِيمُ مِنْ أَمْثَلَةِ الْمُبَالَغَةِ وَهُوَ الْقَوِيُّ عِلْمُهُ»². وكذلك يرى محمد الجبوري في قطفه الدانية: «فهنا ورد أمران بينهما حرف عطف (أو) يفيد التسوية في ظاهره، والمعنى: إن أخفيتم كلامكم أو جهرتم به في أمر رسول الله □ فكل ذلك يعلمه الله: أي أنّ الأمرين سيانٌ عنده، وذلك دفعا لما قد يتوهم من أنّ الإسرار أو الجهر نافع للكفار، فضلا عن ذلك أنّها تحمل معنى الاحتقار والازدراء»³.

ومنه قوله تعالى: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الطّور/16. أي: صبركم أو عدمه في عدم النفع سواء، وذلك أنّه ربما يتوهم أن الصبر نافع للكفار في عذاب يوم القيامة، فدفع ذلك بالتسوية بين الصبر وعدمه.

«فليس المراد بصيغة الأمر (اصبروا) الأمر بالصبر، بل المراد كما دلّت عليه خاتمة الآية ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التسوية بين أمرين»⁴.

و يمكننا إيراد شاهد آخر على توجيه دلالة أسلوب الأمر ليفيد معنى التسوية والذي نجده في قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ التوبة/53. «ومعنى الآية: إنّ أنفقتم طائعين أو مكرهين فلن يقبل منكم»⁵. ربما يتوهم أن

¹ - بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص 287.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 27، ص 44.

³ - فلاح حسن محمد الجبوري، قطف دانية، ص 28.

⁴ - عبد المعطي عرفة، من بلاغة النظم العربي، ج 2، ص 80.

⁵ - تفسير القرطبي، ج 10، ص 236.

الإفناق طوعاً مقبول دون الإكراه، فسوّى بينهما في عدم القبول»¹. وإلى ذلك يذهب الشيخ الطاهر بن عاشور حين يقول في تفسيره «وَالْأَمْرُ فِي أَنْفَعُوا لِلتَّسْوِيَةِ أَي: أَنْفَعُوا أَوْ لَا تُنْفَعُوا، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَوْ فِي قَوْلِهِ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً وَهُوَ فِي مَعْنَى الْحَبْرِ الشَّرْطِيِّ لِأَنَّهُ فِي قُوَّةِ أَنْ يُقَالَ: لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنْ أَنْفَعْتُمْ طَوْعاً أَوْ أَنْفَعْتُمْ كَرْهاً، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ يَجِيءُ بَعْدَ أَمْتَالِهِ الشَّرْطُ فِي مَعْنَاهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ التَّوْبَةُ/80»².

ومن المعروف: أن التَّسْوِيَةَ كَمَعْنَى بِلَاغِيٍّ اقْتِضَاهُ مَقَامَ خَاصٍ جَاءَ فِي أَسَالِبٍ مُخْتَلِفَةٍ «مِنَ الْخَبْرِ وَالِاسْتِفْهَامِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ تَعْدِيلاً لِلْفِكْرِ، أَوْ السَّلُوكِ أَوْ إِظْهَاراً لِحَقِيقَةِ يَنْبَغِي أَلَا تَغْرِبُ عَنِ الْمَخَاطَبِ وَهِيَ لَا تَبْتَعِدُ عَنِ فِكْرَةِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ بِمَعْنَاهَا الْوَسِيعِ فِي دَعْوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»³.

ومن خلال ما سبق تبين لنا أنّ المعاني التي يتحملها أسلوب الأمر عديدة اقتصرنا في هذا المبحث على بعضها، فهذا الأسلوب الطلبيّ يخرج عن معناه الأصلي للدلالة على أغراض شتى، وها هو ابن فارس يذكر في كتابه الصّاحبي بعض المعاني الأخرى التي يتحملها لفظ الأمر، وإن كانت قليلة الاستعمال كالتكوين، والتلهيف، والتعجب.

وهكذا استطاعت بنية الأمر أن تؤدي دلالات متعددة تلتصق بالسياقات المختلفة، فهي لا تقف فقط عند معناه الحقيقي، بل تتجاوزها إلى معان مجازية، وقرائن الأحوال المصاحبة كقيلة بإبرازه.

¹ - بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص 287.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 10، ص 226.

³ - صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، ص 55.

الفصل الثاني: أسلوب الأمر والبحث التداولي في القرآن الكريم

المبحث الأول: دور السياق في توجيه الأمر في القرآن الكريم

1 - تعريف السياق:

2 - السياق اللغوي:

1 - 2 . المستوى الصوتي

أ - النبر

ب - التنغيم

2 - 2 . المستوى الصرفي والمعجمي

3 - 2 . المستوى النحوي (التركيبي)

4 - 2 . المستوى الدلالي

3 - سياق الموقف

4 - السّيق التّفافي

المبحث الأول: دور السياق في توجيه الأمر في القرآن الكريم

رغم أننا نسعى في هذا الفصل إلى تناول الأمر من منظور التداوليين المحدثين، إلا أنه لا مناص من العودة لتراثنا، كي نشير إلى اهتمام الأوائل بفكرة السياق، وإيلائها أهمية بالغة، وفي ذلك يقول ابن جني: «إنّ هذه اللغة أكثرها جارٍ على المجاز، وقلّما يخرج الشيء منها على الحقيقة، فلما كانت كذلك وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسعة مذاهبها، وانتشار أنحاءها جرى خطابهم بها مجرى ما يألّفونه ويعتادونه منها، وفهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عرفهم وعاداتهم في استعمالها»¹ فهذا القول يعقد زمام اللغة بنوايا المتكلم، وما يريده من مخاطبه وفق سياق ما، وهو ما عبّر عنه صاحب الخصائص بالعرف والعادة.

1- تعريف السياق:

قبل الحديث عن المعنى العام للسياق، لا بدّ من الإشارة إلى أنّه لفظ «يرادف في اللغة كلاً من المقام والحال والموقف»².

قال ابن فارس في السياق: «السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حذو الشيء. يقال ساقه يسوقه سوقاً»³، «وساق الماشية سوقاً وسيافةً ومساقاً، واستاقها، فهو سائقٌ وسواقٌ»⁴، و«ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً... وقد انسقت وتسوقت الإبل تساقاً إذا تابعت وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساققة»⁵.

ولم يذكر الجوهري في صحاحه، ولا ابن فارس في مقاييسه، ولا ابن منظور في لسانه (سياق الكلام)، وقد فعل ذلك الزمخشري عندما ذكر سياق الكلام ضمن المعاني المجازية التي يستخدم فيها اللفظ قائلاً: «ومن المجاز: تسوقت الإبل: تابعت، هو يسوق الحديث أحسن سياقٍ. وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقاة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده»⁶.

¹ - ابن جني، الخصائص، ص250.

² - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الكتب، د ط، 1991م، ص30.

³ - ابن فارس، مقاييس اللغة، تحق، عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، 1999م، ج3، ص117.

⁴ - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (سوق)، ص895.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، ص166.

⁶ - الزمخشري، أساس البلاغة، د تحق، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص484.

وبهذا؛ يتّضح أنّ السياق يدور حول معنى التابع والاتصال والانتظام، فسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه.

أما في الاستخدام الاصطلاحي: فهو كما قال ابن دقيق العيد رحمه الله: «أما السياق والقرائن فإنّها الدّالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات».¹ إذ يفهم من هذا أنّه ينتقي ما يناسبه.

قال الزركشي رحمه الله: «ليكن محض نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوّز؛ ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً، حتى كأنّه غير مطروح».² فالتركيز هنا كلّ التركيز على الظروف المحيطة، بصرف النظر عمّا تحيلنا عليه اللّغة.

إذن «السياق هو الذي يساعد في كشف معنى الكلمة نتيجة الوضع المتفق عليه بين المتكلم والسّامع».³ ولن يكون هناك أيّ معنى للغة الحوار بين المتكلم والمتلقي بعيداً عن العرف الذي ألفا التّواصل ضمنه.

فالسّياق في مفهومه العام «هو ما يسبق أو يلحق الوحدة اللّغويّة من وحدات أخرى تتحكم في وظيفتها ومعناها، ولكنه في مجال اللّسانيات يمتدّ ليشمل كلّ الظروف التي تحيط بالنّص مما يتّصل بالمرسل، والمستقبل والمقام ككل».⁴ وعليه يوجّه التّداوليون أنظارنا إلى فكرة السّياق المقامي، الذي يعدّ سبب الانقلاب على المناهج النّسقية.

«فالسّياق مصطلح حديث ارتبط بالدراسات اللّغويّة الحديثة، إلّا أنّ الدّراسات اللّغويّة القديمة لها الأسبقية في ذلك من خلال اهتمامها بفكرة المقام»⁵، و«التي ارتبطت بالبلاغة

¹ - تھاني بنت سالم بن أحمد باحويرث، أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، مذكرة ماجستير، المملكة العربية السعودية، 1428هـ - 2007م، ص 40.

² - الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج1، ص 317.

³ - سمية محامدية، دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية، مذكرة ماستر في الآداب واللغة العربية، الجزائر، 2012 - 2013م، ص 03.

⁴ - آسيا حنك، الأمر والتّهي وفاعلية السياق في تحديد المعنى، مذكرة ماستر، الجزائر، 2015 - 2016م، ص 38، 39.

⁵ - نادية يعقوب، المعنى بين اللغة والمقام في الحديث النبوي، مذكرة ماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص لسانيات الجزائر، سنة 2016م، ص 31.

العربية حين جعلوا لكلّ مقام مقالا»¹، وهي الفكرة التي نادى بها الجاحظ وأبو هلال العسكري ومن نحا نحوهما في ربط القول بالمقام. «ومع التطور في الدراسات اللغوية جاء "فيرث" بالنظرية السياقية التي تركز على السياق ودوره في فهم المعنى»². وقد عدت إسهامات "فيرث" فتحًا جديدًا من منظور الغربيين، على الدراسات اللسانية الحديثة.

و«يأخذ السياق مسارا أكثر بُعدًا مع الدراسات التداولية والتي عمق أصحابها مسألة السياق اعتمادا على تجاوز الإطار اللغوي المحض إلى السياق الاجتماعي والنفسي والثقافي»³، وسنطرق في بحثنا باب كلّ صنف لتوضيح المسألة أكثر.

2- السياق اللغوي:

يعنى البحث هنا بوظيفة اللغة داخل السياق، أي دراسة المفردات والتراكيب في ضوء استعمالها استعمالا يضيفي على الكلمات صفة الجودة، فالاستعمال يقيم علاقة جديدة بين الكلمات، تجعلها تكتسب معاني جديدة نابعة من اختيار الكلمات وطريقة بنائها. فالسياق بهذا المعنى هو الهيئة الحاصلة من العلاقات الأفقية، والرأسيّة بين الوحدات اللغوية التي يتكوّن منها النص.

فهو كما يرى أحمد الشمالي: «الوعاء التحويلي والبلاغي الذي جاءت فيه الكلمة أو العبارة فيفهم المعنى بالنظر إلى الأسلوب الذي اكتنف العبارة بالنظر إلى ما قبلها وما بعدها من الكلام»⁴، وفي هذا القول إشارة إلى فكرة ارتباط الوحدات اللغوية ببعضها البعض، فاللاحق من القول في ميسر الحاجة لسابقه كي تتضح هيئته. و«السياق اللغوي هو الأرض الخصبة التي تُبذر فيها المباني اللفظية بنوعيتها (الوظيفية والمعجمية)؛ لأنّ السياق كما يرى "دل هايمز Dell Hymes" يؤدّي دورا مزدوجا؛ إذ يحصر مجال التأويلات، ويدعم التأويل المقصود، ولذلك قال عنه "ستيفن أولمان S. Olmen" إنّه "الحارس الأمين للمعنى"»⁵. ونفهم من هذا

¹ - كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط9، 1986م، ص57.

² - نادية يعقوب، المعنى بين اللغة والمقام في الحديث النبوي، ص31.

³ - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية على القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1421هـ - 2000م، ص16.

⁴ - ياسر أحمد الشمالي، السياق اللغوي وأثره في فقه الحديث النبوي، دراسات علوم الشريعة والقانون، مج38، العدد الأول، 2011م، ص195.

⁵ - عبد الفتاح خمار، دلالة السياق في فهم النص، مذكرة ماستر في الآداب واللغة العربية، تخصص علوم اللسان العربي، الجزائر، 2014 - 2015م، ص19.

الكلام أنّ التراكيب المنتجة من قبل المتكلمين، تحمل حروفها دلالات معينة، لا تسمح بقراءات تأويلية خارج نسيج معين.

لذلك «يرى عبد القادر عبد الجليل أنّ السياق اللغوي هو كلّ ما يتعلّق بالإطار الداخلي للغة وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية وهي تسبح في نطاق التركيب»¹، وهو في ذلك قد عزز فكرة التضافر اللغوي «لأنّ المعنى الذي يقدمه السياق - ولا سيما اللغوي - هو معنى معيّن له حدود واضحة وسمات محدّدة غير قابلة للتعدّد»²، ولذلك وجب العودة إلى نظام اللغة (الصوتيّ، والصريّ، والنحويّ، والدلاليّ) للوقوف على دلالة الكلمة وأهميتها»³. قد أسس "الخليل بن أحمد الفراهيدي" لأهميّة علم الأصوات حين ركّز في معجمه " العين " على المعيار الصوتي.

1-2. المستوى الصوتي:

اللغة نظام من الرموز الصوتية المتتابعة، يستعملها الإنسان للتعبير عن مقاصده التي «تقوم على جملة من العلاقات والقواعد المتضافرة فيما بينها، ودراسة هذه الوحدات بقواعدها وعناصرها أمر ضروري أثناء العملية التواصليّة بين أفراد اللغة الواحدة»⁴. فهي على رأي "أندري مارتينييه A. Martinez" تُحلّل عبر وحدات تشتمل على محتوى دلالي وعلى عبارة صوتية (مونيما)، وهذه العبارة الصوتية تُتلفّظ بدورها في وحدات مميزة ومتتابعة (فونيما)، عددها محدود في كلّ لغة؛ إذ يُعتبر الفونيم المادّة الأساسيّة في قيم الدلالة باعتباره وسيلة مهمّة لتوزيع الأصوات داخل السياق وفق محتواها الوظيفي، فصوت (القاف) في كلمة (قال) مثلاً، يقوم بوظيفة تميّز هذه الكلمة عن شبيهاها (نال، مال، سال... إلخ)، وإنّ استبدال أيّ صوت من هذه الأصوات يؤدّي إلى إحداث تغيير في الدلالة، فبفضل الصوت يتمّ توزيع الكلمات في سياقها المناسب، إذ توزيع (قال) في السياق غير توزيع شبيهاها وهكذا.

¹ - فطومة لحمادي، السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصّي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الأدب العربي، الجزائر، العدد الثاني والثالث، 2008م، ص12.

² - أحمد محمد قدّور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 1429هـ - 2008م، ص355.

³ - فطومة لحمادي، السياق والنص، ص13.

⁴ - عرفات فيصل المنّاع، السياق والمعنى (دراسة في أساليب النحو العربي)، ط1، مؤسسة السّيّاب، لندن، 2013م، ص14.

يرى الدكتور عرفات فيصل المتاع، أنّ العلم الذي يهتم بدراسة دور الأصوات في تبيان المعنى وفهمه، «يسمى في علم الأصوات العام، بعلم وظائف الأصوات، أو الفونولوجي، ومعرفته من المسلّمات في النظرية السياقية، كما أنّه الخطوة الأولى من خطوات دراسة المعنى عندهم»¹. إذ لا يمكن اعتماد الصوت الواحد في الكلمة الواحدة ما لم يشكّل وظيفة صوتية مع ما يجاور اللفظ من لفظ آخر.

وفي هذا السياق لا بدّ من التّعرض إلى موضوع بالغ الأهمية بالنسبة لدراسة الأساليب، «اعتنى به السياقيون عناية خاصّة حتى أصبح عندهم ظاهرة أسلوبية مميزة في الكلام المنطوق، وهو ما يطلق عليه في علم الأصوات»² ب: «الظواهر التطريزية، أو فونيمات فوق التركيب»³. وهذه الظواهر هي:

أ- النبر:

اتفق علماء اللغة على أنّ النبر هو الضّغط على مقطع معيّن يُكسبه خاصية واضحة في السّمع عن بقية ما يجاوره من مقاطع، يقول إبراهيم أنيس: «هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد... ويترتّب عليه أن يُصبح الصوت عالياً واضحاً في السّمع»⁴. كأنّه أراد القول بأنّ المقطع المنبور بقوة يكلف الناطق به جهداً عضلياً أقوى من المقاطع المجاورة له.

«ولم يختلف التّصوّر الحديث لفكرة النبر عن تصوّر اللّغويين القدماء له كثيراً، فقط تصوّر أصحاب المعاجم النبر على أنّه (ضغط المتكلم على الحرف)، ونظم المحدثون هذا المعنى حين خصّوه بالمقطع، والمقطع تقسيم حديث للحدث اللّغوي لم يمارسه القدماء»⁵، حيث يصف المحدثون النبر بأنّه وضوح نسبي لصوت أو مقطع. ونشير إلى أنّ النبر من أهمّ التقنيات في العملية التّواصلية، «إذ يُعتبر سمة صوتية وظيفية لها قيمة دلالية في التّوجيه، كما يُعتبر أحد الملامح التّمييزية، أو التّنوعات الصوتية التي تنوّع الدلالة، ويعتمد عليها السياق»⁶، كونه يقوم

¹ - عرفات فيصل المتاع، السياق والمعنى ص15.

² - السياق والمعنى المرجع نفسه، ص15.

³ - كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، د ط، 2000م، ص89.

⁴ - إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، د تحق، مكتبة نهضة مصر، مصر، د ط، ص97.

⁵ - برتيل مالبرج، علم الأصوات، تعريب، عبد الصّبور شاهين، د تحق، مكتبة الشّباب، القاهرة، د ط، 1984م، ص197.

⁶ - سعاد بسناسي، مصطلح النبر في الدرس اللّساني الحديث، جامعة وهران، السّانية، د ط، ص88.

بوظيفة التمييز بين المعاني داخل الكلمة، ويساعد على وضوح مقاصدها، وفصاحة وقّعها لدى السّامع.

وعلى الرّغم من أهميّة النّبر في إحكام المعنى وضبطه، «إلا أنّ تلك الأهميّة لم تجد صدّي في الكتابة. ولعلّ الثّراء كانوا فيما سبق ينبرون دون عناء ويرتفع صوتهم إنّ لزم الأمر، لكن بالنّظر إلى مستوى القراءة اليوم، نجد أنّ عدم وضع النّبر على مكانه الصّحيح يؤدّي إلى كثير من الغلط وسوء الفهم».¹ نحو ما قد يقع فيه القراء حين قراءتهم لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ الحجر/29. إذ ينبغي أن تساعد طريقة الأداء في القراءة على ما يشير إلى أنّ (الفاء) ليست حرفاً أصلياً من الفعل الماضي (وقّع)، لذلك لا تُقرأ الكلمة بنبر الفاء حتّى لا يظنّ القارئ أنّ الفعل مشتق من الفقع، وهذه دلالة تتنافى مع السياق، يقول الشّوكاني في هذا: «الفاء تدلّ على أنّ سجودهم واجب عليهم عقب التّسوية والنّفخ من غير تراخ، وهو أمر بالوقوع من وقّع يقع وفيه دليل على أنّ المأمور به هو السّجود، لا مجرد الانحناء كما قيل، وهذا السّجود سجود تحيّة وتكريم لا سجود عبادة».² والدّلالة الصّحيحة هي (الوقوع) وتتحقّق بنبر المقطع الثّاني من كلمة (فقعوا) وهو القاف.

فاللّغة العربيّة كما يرى تمام حسّان: «لا تفرّق بين الأسماء والأفعال بالنّبر، أي أنّها لا تعطي النّبر معنىً وظيفيّاً في الصّيغة أو في الكلمة، ولكنّها تمنحه معنىً وظيفيّاً في الكلام، أي في معنى الجملة».³ وتمثّل لذلك بما جاء في التّنزيل العزيز: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الإنسان/25. فقد يقرأ أحدهم هذه الآية بنبر المقطع الأخير من الفعل (أذكر)، وهذا يؤدّي إلى تحول كسرة الرّاء إلى ياء، فيكون الخطاب في هذه الحالة للمؤنّث، أي: (أذكرين)، وبالتالي تصبح الفرصة سانحة للّبس، فيأتي دور النّبر هنا للتّفريق بين الصّيغتين، فيكون النّبر «في الفعل (أذكر) على مقطع همزة الوصل، ويكون في الفعل (أذكرين) على مقطع الكاف ليدلّ على طول الياء، لأنّ النّبر يقع على ما قبل الآخر إذا كان المقطع الأخير متوسّطاً (ري) وما قبل الآخر قصيراً (ك) حسب القاعدة (الثّانية 2 ب) من قواعد النّبر الأوّلي. فيكون هنا النّبر ذا وظيفة تشبه وظيفة حركة الدّليل على المحذوف في نحو (تسعون) حيث تدلّ الفتحة على ألف (سعى)

¹ - سيّد حسن أرباب، النّبر في القرآن الكريم، دراسات دعويّة، العدد السّابع عشر، 2009م، ص11.

² - الشّوكاني، فتح القدير، ص761.

³ - تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1994م، ص308.

المحذوفة»¹ وكلّ هذا التّعير في البنية المقطعية صالح لأن يعيّر مواقع النّبر في الكلام عمّا كان عليه، والذي ينتج عنه تغيير الدلالة.

هذا ما أحدثه النّبر من تغيير في بنية الكلمة، أمّا إذا تحدّثنا عمّا قد يقوم به في دلالة الكلمة من تأكيد، أو توييح و تقريع، أو تنبيه أو غير ذلك... فالحديث فيه كثير، من ذلك ما نقف عنده في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة/67.

بمعنى: «أظهر التبليغ، لأنّه كان في أول الإسلام يُخفيه خوفاً من المشركين ثم أمر بإظهاره في هذه الآية، إذ دلّت على ردّ قول الرافضة: أن النبي □ كتم شيئاً من أمر الدين، لأنّ المعنى: بلّغ ما أنزل إليك ظاهراً، وهذا تأديب للنبي عليه الصلّاة والسّلام، وتأديب لحملة العلم من أمته ألاّ يكتموا شيئاً من وحيه»².

والشاهد في هذه الآية فعل الأمر (بلّغ) لما في أصواته من دلالات إيحائية تطابق المعنى، إذ يوصف صوت الباء الذي بدأ به الخطاب بأنه شفوي انفجاري مجهور، وهذا ما نلتمسه في دلالة الفعل التي هي الإظهار، فكلّ ما هو شفوي ظاهر، ومع مجاورته لصوت اللّام المشدّد المكسور زاد في قوّته، وأحكّم في النّهاية بصامت، يقول القرطبي: «وقيل أبلّغ أنت، فأما الهداية فإلينا»³. والتّحليل الدالّ على الإغلاق هو ما يمثله:

(ب _ / ل / ل _ / غ)

← (س ع س) (س ع س)

فنلاحظ وقوع النّبر على المقطع ما قبل الأخير المتوسّط كما يسمّيه تمام حسّان، حيثُ نقلُ دلالة الفعل بشكل مستمرّ، كما زاد قصر المقطع قوّة، فلو قال: (أبلّغ) لما أدّت الدلالة نفسها. وقد جاء في الخصائص: «ومن ذلك أنّهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل، فقالوا: كسّرَ وقطّعَ وفتحَ وغلّقَ»⁴. ومن بلاغة التعبير أنّه لما كان الخطاب من الأعلى إلى الأدنى، وقع النّبر على اللّام المكسورة. فالنّبر أسهم بجلاء في توجيه دلالة الفعل، تماشياً مع المقاصد المبتغاة في هذا السياق.

1 - تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص308.

2 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص89.

3 - الجامع لأحكام القرآن، المصدر نفسه، ص93.

4 - ابن جيّ، الخصائص، ج2، ص155.

وهذا ما نلتمسه في دلالة فعل الأمر (إهدنا)؛ حيث نقل هذا المدد بالألف دلالة تضرع العبد إلى ربه، وأنّ الخطاب كان من الأدنى إلى الأعلى، فيرتفع الصوت مع مدّه للعلوّ. هذا على مستوى نبر المقطع، أما على مستوى نبر الكلمة، كأنّ يسأل أحد صديقّه: (هل سافرَ أخوك أمس؟) فالغرض يختلف باختلاف الكلمة التي يزيد نبرها أو يضعف، فقد يتحقّق النبر في لفظ الفعل (سافرَ) إذا كان السّفر مرغوبا في تأكيده، أمّا إذا كان السّفر ليس موطن شكّ، بل إنّه حاصل على وجه التأكيد، ولكن الشكّ فيمن حدث منه السّفر فهو الأخ أم غيره، فيكون لفظ (أخوك) هو المحتاج إلى التأكيد، وبالتالي يكون النبر واقعا عليه، أمّا إذا كان سفر الأخ مؤكّدا، ولكن الزّمن الذي حضر فيه لم يكن معلوما فهو أمس أم غيره؟ كان الشكّ واقعا في لفظ (أمس) الدال على زمن سفر الأخ، ولذلك كان المقطع المنبور، وعلى هذا النسق يقع النبر في الجمل.

ومما لا شكّ فيه أنّ المقطع المنبور، يُسيّر بين الأوتار الصوتيّة كمّية من الهواء أكبر من كمّيته في المقطع العادي، وهذه بدورها تسبّب علوّا في الصوت وبالتالي تتغيّر الدلالة، وهذا مما يعاب على اللّغة المكتوبة، إذ تكون أكثر عرضة للتأويل، والنبر لا يعمل بمفرده في التمييز بين الأساليب بل يعمل جنبا إلى جنب مع التنغيم.

ب- التنغيم:

أثارت قضية التنغيم خلافا كبيرا بين الباحثين المعاصرين خاصّة، فدراسة هذه الظاهرة في العربيّة تعدّ نوعا من المجازفة، كونها لم تعرف هذه الدّراسة قديما، ولعدم وجود مقياس معياري صوتي للتنغيم يمكن الاحتكام إليه، يقول تمام حسان: «لم يسجّل لنا القدماء شيئا عن هاتين النّاحيتين (النبر والتنغيم) أغلب الظنّ أنّ ما نسبته للعربيّة الفصحى في هذا المقام إنّما يقع تحت نفوذ لهجاتنا العاميّة»¹ فيحدث أن تكون لفظة (ايه) استفهامية باللهجة المصريّة، وتختلف باختلاف اللهجة لتصبح بمعنى: (نعم) باللهجة الجزائريّة، وأخرى للدّهشة والاستغراب، وقد تفيد دلالة التأكيد أو التّحسّر إذا أطلت بنغمتها (اييه) وهكذا... فتعبر النّعمة قد يتبعه تغيّر في الدلالة في كثير من اللّغات.

وقد استخدم العلماء مصطلحات لها علاقة بموضوع التنغيم، ك (التّرّم) فقد ذكر سيبويه هذا المصطلح قائلا: «اعلم أنّ المندوب مدعوّ ولكنّه متفجّع عليه فإنّ شئت ألحقت في آخر

¹ - تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص164.

الاسم الألف، لأنّ الندبة كأهمّ يترّمون فيها»¹. فالندبة هي نوح من حزن يلحق النّادب على المندوب عند فقدّه، فيدعوه وإن كان لا يجيب، ويرى العالم اللّغوي "الفراء" أنّ أثر التّنعيم ودلالته واضحة في الآيات القرآنيّة، مستشهدا بقوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنثِيَ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ الإنسان/1. بمعنى: «(قد أتى...»، (هل) قد تكون جحدا، وتكون خبرا»²، فلا اختلاف هنا في أنّها تفيد التّحقيق لأنّها بمعنى (قد) والذي رجّح هذا المعنى، فقلنا بأنّه أسلوب خبري لا إنشائي هو سماعنا لهذه الآية من أفواه القراء بالتواتر، فمعرفة التّنعيم والأداء يساعد كثيرا في تحديد الأسلوب. والتّنعيم في الكلام يقوم مقام التّريم، يقول تمام حسّان: «أما تريم التّنعيم فكتريم الكتابة، تحمل العلامة فيه من الكتابة محلّ الشّهيق لاسترجاع النّفس من الكلام، وكلّما جاءت سكتة وجب وجود علامة تريميّة»³، غير أنّه أوضح من التّريم في الدّلالة على المعنى الوظيفي.

ويعدّ التّنعيم من الفونيمات فوق التّركيبية كما ذكرنا سابقا، بحيث ترتفع درجة الصّوت وتنخفض على مستوى الجملة أو العبارة، ولا يقتصر دوره في التّفريق بين أنماط الجمل، استفهاميّة كانت أو خبريّة أو تعجّبيّة، وإنّما يقوم بدور رئيس في تحديد معاني الكلمات، وتوجيه دلالتهما إلى خلاف ما كانت عليه، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرَضُ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ يوسف/29. فالشّاهد في هذه الآية فعل الأمر (أعرض)، ذلك حين أمر عزيز مصر يوسف بالإعراض والإضراب عن الذّنب الذي اتّهمت به امرأته يوسف، حين راودته وكشّف أمرها، فما كان عليه إلّا أن يطلب من يوسف «كتمان هذا الأمر وعدم التّحدّث به»⁴، بأسلوب فيه نوع من التّلطّف، لكن حين قال العزيز لامرأته: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ فينبغي أن تُقرأ بنبرة غضب فالموقف يقتضي ذلك، والشّدّة واللّين لا يُعرفان إلّا بقراءة الآية بتنعيم يدلّ على أحدهما.

ومثاله حين عصى إبليس الله بأن لا يسجد فأخرجه من رحمته، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿ الحجر/34-35 بمعنى: «أنك

¹ - سيويه، كتاب سيويه، ص220.

² - الفراء، معاني القرآن، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ - 1983م، ج3، ص213.

³ - تمام حسّان، مناهج البحث في اللّغة، ص169.

⁴ - الرّخشي، الكشّاف، ج3، ص274-275.

ملعون مطرود من ملكوت السماء»¹، فهو لا يستحقّ البقاء في السماوات لذلك استحقّ الإخراج بلفظ (أخرج) وهي تدلّ على غضب الله من إبليس وطرده، وتختلف دلالتها إذا أمر أمراً عادياً، فالأداء يختلف باختلاف غرض الأمر، ولذلك تُقرأ بنغمة متصاعدة تدلّ على قوّة وشدّة الغضب.

ومن ذلك أمره عزّ وجلّ لأُمّ موسى في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص/07. وُلِدَ موسى في جَوْ من الخوف وبجر من دماء الأطفال، فأوحى الله إلى أمّ موسى بعدما ولدته أن تُرضعه، وهو أمرٌ وجوبٍ لا إرشادٍ، فإذا خافت عليه من فرعون أمرها أن تلقيه في اليمّ، «وهو من الغرائب أن يُلقى من يُخاف عليه فيما فيه هلاكه؛ لأنّ إلقاءه في البحر معناه استعجالُ الهلاك له»²، وألا تخافَ من غرقه وألا تحزنَ على فراقه، ووعدها برده إليها، وبشّرها أنّه سيكون نبياً إلى بني إسرائيل، وهذا من آيات الله عزّ وجلّ أن يُلقى موسى في مكان الخوف ولا يموت.

ومن بلاغة تعبيره جلّ وعلا أنّه خاطبها بلفظة (ألقيه)، ولم يقل (اقذفيه) لأنّ القذف فيه قوّة وبذلُ جهدٍ، أمّا الإلقاء فيه خفّة وسرعةٌ ولمعانٌ مصحوبان بالهدوء والتأني، لأنّ خبر موسى لم يصل إلى فرعون، وبالتالي ينبغي أن تُؤدّى هذه الآية بأسلوب الهدوء والطمأنينة وبهبوط النغمة.

لكنّ التنغيم أوسع من أن يُحصر فيما يسمّى بهبوط النغمة أو صعودها، بل كلّ ما يحيط بالنطق من طُرُق الأداء، كالوقفات المتناغمة، والسكتات المتقاربة والمتباعدة، وأنماط نغمات الصّوت ارتفاعاً وانخفاضاً، تشديداً وتخفيفاً، كلّها من أهمّ العوامل التي ترسم أثراً كبيراً في نفوس السامعين وفهم المراد.

2-2. المستوى الصّرفي والمعجمي:

ويرتّب ثانياً في التّحليل اللّغوي بعد المستوى الصّوتي، ويعقبه المستوى النّحوي، فهو يشكّل حلقة وصل بينهما، حيث يهتمّ بدراسة بنية الكلمة من حيث صيغتها واشتقاقاتها، وجموعها، وبنائها للمعلوم أو المجهول وغيرها، كلّها لها وظائف في تحديد الدلالة، «ويُراد

¹ - مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقّق، عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1423هـ، ج2، ص429.

² - العثيمين، تفسير القرآن الكريم سورة القصص، ص27.

بالوظيفة الصَّرْفِيَّة ما تُؤدِّيهِ الوحدات اللُّغَوِيَّة المعروفة باسم (المورفيمات)¹، «حرّة كانت أم مقيدة، ولا تُؤدِّي المعنى المراد إلا إذا كانت ضمن سياق تركيبى معيّن، ومثلها أحرف المضارعة وزيادات الأفعال، وهي كما قال الدكتور حسن غازي السَّعدي ورفيقه: «لا تتعدّى في حال من الأحوال عشرة أحرف: (السّين، والهمزة، واللام، والتّاء، والميم، والواو، والتّون، والياء، والهاء، والألف). وقد جُمعت في عبارة (سألتمونيها)، أو (اليوم أنساه)، وغيرها...»

ومن لطيف ما يُروى في ذلك: أنّ تلميذا سأل شيخه عن حروف الزيادة فأجاب: سألتمونيها، فظنّ أنّ الشيخ قد أحاله إلى ما أجابهم به من قبل هذا، فقال: ما سألتك إلا هذه النوبة، فقال الشيخ: اليوم تنساه، فقال: والله ما أنساه، فقال الشيخ: قد أجبتك يا أحمق مرّتين².

ويُعتبر الميزان الصَّرْفِيّ أساساً من الأسس التي ترتكز عليها دراسة علم الصَّرْف، فقد لاحظ علماء العربيّة أنّ أكثر كلمات اللّغة العربيّة على ثلاثة أحرف، لذا اعتبروا أنّ أصول الكلمات على ثلاثة أحرف، واختاروا مادّة (فَعَلَ) الثلاثيّة لهذا الغرض «فالأفعال إمّا أن تكون ثلاثيّة أو رباعيّة، ومزيد الثلاثي إمّا أن يكون بحرف واحد، وله ثلاثة أوزان: (أَفْعَل، وفَعَّل، وفَاعَلَ)، أو يزداد بحرفين وله خمسة أوزان: (انْفَعَلَ، وافْتَعَلَ، وافْعَلَ، وتَفَاعَلَ، وتَفَعَّل)، أو أن يزداد بثلاثة أحرف، وله ثلاثة أوزان: (استَفَعَلَ، وافْعَوَّلَ، وافْعَالًا)، ومزيد الرباعي إمّا بحرف واحد وله وزنه: (تَفَعَّلَ)، وإمّا نزيد بحرفين وله وزنان: (إِفْعَلَلَّ، وإِفْعَلَّلَّ)³. حيث تتبع الزيادة في البنية زيادة في المعنى، لذلك فقد جعلوا لهذه الأوزان معاني تدلّ عليها، ومن ذلك:

1/ المشاركة: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة/190. يقول القرطبي في هذه الآية: «أتمّها أول آية نزلت في الأمر بالقتال، ولا خلاف في أنّ القتال كان محظورا قبل الهجرة، بقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. فصلت/34. ولما هاجر □ إلى المدينة أمر بالقتال، فنزل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾. حين كان عليه الصلّاة والسّلام يقاتل من قاتله، ويكفّ عمّن كفّ عنه، حتّى نزل ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ

¹ - عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص120.

² - محمّد نوري الموسوي، دلالة الفعل المزيد بالتضعيف (فَعَّلَ) في القرآن الكريم، ص01.

³ - عرفات فيصل المتّاع، السياق والمعنى، ص20.

فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٥﴾. التوبة/05، قال ابن زيد والرَّبِيع نَسَخَهَا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة/36، فأمر بقتال جميع الكفار.

وقال ابن العباس وعمرو بن عبد العزيز وجاهد: هي مُحْكَمَةٌ، أي: قاتلوا الذين هم بحالة من يقاتلونكم، ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم¹. فالمعروف أن الصيغة (فَاعَلْ) من أوزان الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد، ومن دلالاته: المشاركة، والمبالغة والتكثير، وتكرار الفعل وغيرها... إذ دلّ فعل الأمر (قاتلوا) في هذه الآية بهذه الصيغة على المشاركة لا غيرها، لأنها لا تكون في الغالب إلا من اثنين كالمخاصمة والمشاركة، كلهما وردت بمعنى المشاركة في الفعل، فالقتال لا يكون للنساء ولا الصبيان وما شابههم. فأدّت هذه الصيغة وظيفة مميزة في توجيه فعل الأمر من معنى القتل للعامّة، إلى القتال بين الأسوياء في هذه الحالة، وذلك بحرف الزيادة (الألف).

2/ الانحاذ: وهو من المعاني التي تصاحب حرفي الزيادة (الهمزة والتاء) من الفعل الثلاثي: (فَعَلْ ← افْتَعَلَ)، نحو قوله تعالى: ﴿...يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ الحشر/02. أي: اتخذوا عبرة، يقول القرطبي: «واتعظوا يا أصحاب العقول والألباب، ومن جملة الاعتبار هنا أنهم اعتصموا بالحصون من الله فأنزلهم الله منها»². فكلّ زيادة من هذه المورفيمات لها معنى.

3/ الطلب: وهو من المعاني المستفادة من زيادة الأحرف (است) من الفعل الثلاثي (فَعَلْ ← استَفَعَلَ)، والأصل في هذه الصيغة إرادة الشيء وتحصيله بالطلب، كقولك: استغفرتُ الله، أي: طلبت مغفرته، وقولك: استعن بالله أي: أطلب العون والإعانة والمعونة من سبحانه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هود/112. معنى ذلك: أطلب الإقامة على الدين والحق الذي جاء به، يقول البيضاوي: «لما بين أمر المختلفين في التوحيد والنبوة»³. والسّين سين سؤال، بمعنى: أسأله الإقامة.

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص238، 237.

² - الجامع لأحكام القرآن، المصدر نفسه، ج20، ص338.

³ - البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج3، ص150.

ومن المعاني الفرعية لهذه الصيغة: المصادفة، والمطابقة، والصيرورة، واختصار الحكاية، والإظهار ومثله ما نجده في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة/111. «أي: أبشروا، وأظهروا السرور بذلك، والبشارة إظهار السرور في البشارة»¹

4/ المبالغة: وهي التكثر في الشيء، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ الأنبياء/68. والمقصود في هذه الآية إبراهيم عليه السلام، حين «نبه على قبيح مرتكبهم وغلبهم بإقامة الحجّة عليهم، لاذوا بالإيذاء له والغضب لآلتهم، واختاروا أشدّ العذاب وهو الإحراق بالنار»²، لكن كانت بردا وسلاما عليه. فالسياق كما هو واضح سياق مبالغة في الغضب، لذلك صيغ الفعل على وزن (فَعَّلَ)، ومن دلالات هذه الصيغة التكثر، والتعدية وغيرها...

وما نستخلصه أنّ الصيغ الصرفية هي إحدى العناصر المهمة في تكوين الكلمة، وهي من وسائل الثراء في اللغة العربية، وأنّ هذه المورفيمات ذات قيمة صرفية ونحوية؛ فهي تدلّ على الإيجاز في المفردات والتراكيب، ويتجلى ذلك في معاني المشاركة والتعدية، والطلب والمطابقة، فلولا وجودها لأدّى إلى مزيد من التطويل في الجمل والعبارات.

وفي المستوى المعجمي نلاحظ دلالة الألفاظ الظاهرة على المعنى؛ إذ تُعدّ عاملاً رئيساً في فهم النص، مقروءاً كان أم مسموعاً، كما تساعد كثيرا في تقريب الأفكار التي تحملها مجموعة النصوص الموجهة إلى قارئ أو سامع، افتراضي أو معلوم.

وتشهد اللغة العربية بالتداول الطبيعي لمسارات مفرداتها تعدديّة للدلالات في مفردة واحدة، فتنقل الدلالة من التجسيدية الحسية إلى التجريدية العقلية، فيحدث من هذا إيجاد وجوه مختلفة للدلالة مع وحدة الدال، ولا توجد حيثية لمعرفة المعنى وتحديده إلا بالسياق اللفظي، فالمكلم لديه مجموعة من الاحتمالات الواردة على اللفظة، وهو يختار منها الأكثر ملاءمة لما يريد قوله، ولا يتم ذلك إلا بهذه القرينة الفنية.

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص392.

² - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحق الشيخ أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ - 1993م، ج6، ص304.

إنه من الصَّعب جدًا تحديد دلالة الكلمة، لأنَّ دلالتها لا تقتصر على مدلول الكلمة في ذاتها، بل تحتوي على معانٍ عدَّة يمكن أن تتخذها ضمن السياقات اللغويَّة، «والألفاظ في معانيها لا تكون على درجة واحدة في الاستعمال، فهي تحوي في ضمن قائمة من الاحتمالات الممكنة لها كما هو متداول بكثرة إلى الأقلِّ تداولًا في حياتنا اليوميَّة، كما أنَّها تحمل معنى مشهور لدى اللغويين وأخرى أقلَّ شهرة، والمتبادر إلى الذهن في العادة المعنى المشهور»¹. وبالتالي ينتقي المتكلم منها الأقرب إلى مقصوده.

ويستند هذا النوع من السياق إلى عناصر لغويَّة في تحديد المعنى، وعلى سبيل التمثيل: نظر إلى لفظة (ضرب)، التي ترد في سياقات مختلفة تُكوِّن معناها، فقد ترد بمعنى المعاقبة، نحو قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ النساء/34. والنشوز بمعنى: «العصيان»، وقال أبو منصور: كراهيتها لزوجها، وقيل: امتناعها من المقام معه في بيته، ووعظهن: تذكيرهن بأمر الله بطاعة الزوج وأنَّ الله أباح ضربهنَّ عند عصيانهنَّ، وعقاب الله لهنَّ على العصيان»، وقال صاحب البصائر: «اضربوهنَّ باليد»² لا الضرب المبرح.

والذي أعطى هذه الدلالة للفعل (اضربوهنَّ) هي لفظة (اهجروهنَّ)، حيث صيغت على هيئة فعل الأمر، والأمر تكليف لأداء شيء، ونصل إلى أنَّ سياق الآية هذه هو سياق تكليفي شرعي، والتشريع فيه إثابة أو معاقبة، ولما دلَّ السياق السابق على (الهجران) وهو فعل يُؤوَّل بالضرورة إلى ألم وحسرة، فكان المعنى من هنا دالًّا على العقوبة، وبالتالي اللفظة دلَّت على المعاقبة لا على المعنى المعجمي للضرب وهو الحدث المعروف.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ الكهف/32 فلفظة (اضرب) وردت في هذه الآية بمعنى (اذكر)، وهذا إعجاز قرآني يجبس الأنفاس، والذي يسند إيجاد هذه الدلالة وصحة القول بها هو لفظة (مثلاً) لأنَّ المثل يذكر من أجل الوعظ والإرشاد، يقول القرطبي: «هذا مثل لمن يتعزَّز بالدنيا

¹ - عرفات فيصل المتاع، السياق والمعنى، ص21.

² - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج3، ص251.

ويستنكف عن مجالسة المؤمنين، وقيل نزلت في النبي □ وأهل مكة، وقيل: هو مثل لجميع من آمن بالله وجميع من كفر»¹. وتقدير هذه الآية: «واضرب لهم مثلاً قصة رجلين»². فالواضح من سياق الآية والسّياق اللاحق للأسلوب بأنّها تعني: اذكر، لأنّ المثل عبارة عن نصّ لغوي لحادثة معيّنة، وبالتالي يُذكر نصّاً.

وعلى المنوال ذاته يمكن أن ننظر إلى لفظة (قضى) في التعبير القرآني حيث وردت في أكثر من موضع، في كلّ موضع تأخذ معنىً جديداً، ونستدلّ على هذه الحالة بما جاء في قوله تعالى على لسان سيّدنا نوح عليه السّلام: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾ يونس/71.

فإنّ معنى اقضوا: امضوا، «وأدوا لي ذلك الأمر الذي تريدون لي، واجتمعوا على السّعي في إهلاكه»³، وهذا النداء موجّه إلى قومه، وفهّم من لفظة (اقضوا): امضوا في قتلي؛ لأنّ الخطاب موجّه إليهم على وجه التهديد. وهذا ما فسّره الطّوسي، بمعنى: «توجّهوا إليّ، يقول ابن الأنباري: معنى اقضوا: امضوا. يقال: قضى فلان إذا مات ومضى»⁴.

نستنتج إذن أنّ السّياق سياق تهديد وتحدّ بدلالة قوله: كبر عليكم مقامي. حيث كان السّياق اللفظي يوحى بذلك علناً، وأنّه يُعدّ قرينة كاشفة لمعنى (اقضوا) الذي هو امضوا لأنّ هذا المعنى ينسجم كلياً مع الدّلالة العامّة للسّياق، والتي تمثّلت في التّحدّي والمواجهة والتهديد معاً.

بينما وردت في موضع آخر بمعنى: الإعلام، في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ الإسراء/04. أي: «أعلمناهم وأوحينا إليهم وحياً جزماً»⁵. وما دلّ على ذلك المعنى القرينة النّصيّة اللاحقة للأسلوب: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، نج13، ص269.

² - أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص118.

³ - الفيض الكاشاني، تفسير الصّافي، مكتبة الصّدر، طهران، ط3، 1379هـ، ج2، ص411-412.

⁴ - محمد بن الحسين الطّوسي، التّبيان في تفسير القرآن، تحق، أحمد حبيب قصير العامل، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، د ط، مج5، ص410.

⁵ - الفيروز أبادي، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحق، محمد علي النّجّار، مطابع الأهرام التّجارية، القاهرة، ط3 1416هـ - 1996م، ج4، ص276.

الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلُنَ عَلْوًا كَبِيرًا ﴿٧٢﴾. ونحوه: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ طه/72. أي: «افعل ما أنت فاعل»¹.

ومن هنا نجد لفظة (قضى) متعددة الدلالات، فقد استعملت في مواضع مختلفة باللفظة ذاتها، مما أشكل على القارئ تحديد معناها، غير أن القرينة قد أزلت هذا الغموض عن استعمالها في مختلف المواضع، بالتأمل تارة، وتارة بما يجاورها من قرائن لغوية سياقية، سابقة كانت له أم لاحقة.

ويمكن أن نختتم حديثنا عن السياق المعجمي بقول "بيير جيرو P. Giroux": «إن الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدلالات يزول حين توضع في سياقها»². فتتضح دلالاتها وتتوحد بمجرد إخضاعها لسياق معين.

2-3. المستوى النحوي (التركيب):

يختص هذا المستوى بترتيب الكلمات ضمن التراكيب، ويبيّن علم النحو وظائفها داخل الجمل، والأثر الدلالي لاختلاف موقعها. نحو قولنا: (زار محمد عمر) و(زار عمر محمد)، فتختلف الجملة الأولى عن الثانية من حيث الوظيفة النحوية، فكلُّ تغيير في الوظيفة النحوية لا بد أن يقابله تغيير في المعنى، وكذلك «قد تتفق كلمات الجمل المتشابهة، مثل:

- (الثعلبُ السريعُ البئِيُّ كاذِبٌ يقتنصُ الأرنبَ).
- (الثعلبُ البئِيُّ الذي كاذِبٌ يقتنصُ الأرنبَ كان سريعاً).
- (الثعلبُ السريعُ الذي كاذِبٌ يقتنصُ الأرنبَ كان بئياً)³. فالجمل تحمل دلالة واحدة، لكن الاختلاف يكمن في توزيع المفردات.

ومما لا شك فيه، أن السياق النحوي هو الذي يدرس البنية النحوية التي ترد فيها هذه الكلمة، بوصفها وحدة نحوية في كلِّ متّسق. ويجب أن يكون كلامك نظماً ذا معنى، يقول الجرجاني في هذا: «ليس النظم أن تضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتّفق»⁴، وقد قصد

¹ - الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج4، ص277.

² - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص39.

³ - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، د تحق، القاهرة، ط1، 1985م، ص13.

⁴ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، 1375هـ،

بذلك: «نظم الكلم، فليس الغرض منه إن توالى ألفاظها في النطق بل إن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»¹ بالأصل النحوي لكشف المعنى، وبالعمل على قوانينه، لكن ما زريده ليس معرفة قواعده وحدها، ولكن ما تحدته هذه القواعد يتبعه م معنى، فهناك تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وفصل ووصل، وقصر في المعنى وعدمه... ولكل ذلك دلالات معيَّنة، لا يمكن معرفتها ما لم يستتبعها السياق لإضاءة الدلالة، من ذلك:

1/ الذكر والحذف: كأن يُذكر المسند لغرض السخرية والتعريض، نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ﴾ الأنبياء/62-63. يقول الزمخشري: «إنَّ قصد إبراهيم عليه السلام لم يكن إلا أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثابته لها على أسلوب تعريضي، يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجّة وتبكيّتهم»². فافتضى المقام أن يُذكر المسند لهذا الغرض. فكان فعل الأمر المتمثل في سؤالهم تهكّمًا لا غير، لأنّه على دراية بمن فعل هذا وهو على علم بأن الآلهة لا تنطق، لذلك لا تستحقّ العبادة. فالواضح من سياق الآية بأنه استهزاء، فكان الغرض من ذكر المسند (فَعَلَهُ) تعريضا بغباوة السامعين.

وقد يُحذف للاختصار، نحو قوله: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة/184. في الكلام حذف، أورده القرطبي بصدد تفسير الآية في بقوله: «ارتفع (عدّة) على خبر الابتداء، والتقدير: فالحكم أو فالواجب عدّة، ويصحّ فعلية عدّة. وقال الكسائي: ويجوز فعده، أي: فليصم عدّة من أيام أحر»³، فحذف الخبر اختصارًا، لدلالة ما قبله عليه من وجوب صيام الشهر كلّه، ولتوقّر العناية بالمبتدأ وهو (عدّة) الذي هو الحكم. فالتعبير عن الأمر بالمصدر كأنّه واجب الامتثال.

وها هو سيبويه شيخ النحاة يعالج أساليب خبريّة ويجوّز فيها الحذف تأسيسا على السياق اللغوي وحده، «ففي ذكره لحذف الفعل (تتبع) من قوله تعالى: ﴿بل ملّة إبراهيم حنيفا﴾ يقدر فعلا ناصبا (ملّة)، إذ يستعين بالسياق السابق للآية نفسها، قال: "كأنّه قيل لهم:

¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص50، 49.

² - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص682.

³ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص135.

اتَّبِعُوا، حين قيل لهم: (كونوا هودا أو نصارى)...¹ ومنه حذف المفعول به، في قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ الصّافات/179. أي: أبصرهم، بدليل قوله: في الآية 175 ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾. فحذف المفعول به من الأوّل وذكره في الثاني، يقول القرطبي: «والمراد بالأمر الدلالة على أنّ ذلك كائن قريب، وأنهم سوف يبصرون ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة»². وصرّح بالصّميم لدلالة الظهور، أمّا دلالة الأمر في الأولى: «تأكيدا للإشعار بأنّه يبصر، وأنهم يبصرون مالا يحيط به الذّكر من أصناف المسرّة وأنواع المساءة»³.

وبهذا كانت مسألة توجيه الأمر مرتبطة كذلك بقضيّة الحذف والذّكر، فعندما اقترن الصّميم بالفعل دلّ على العذاب في الدّنيا، ولما حذف دلّ على العذاب في الآخرة.

2/ العدول عن المصدر إلى الأمر: كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأْتُمْ تَعُودُونَ﴾ الأعراف/29. فسّرهما الكاشاني بقوله: «توجّهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها، وأقيموها نحو القبلة في كلّ وقت أو مكان سجود وهو الصّلاة»⁴. فمقتضى الظاهر أن يقال: (أمر ربي بالقسط وإقامة وجوهكم) ولكنّه عدل عن ذلك إلى الأمر؛ لأنّه من جنس الطّلب، وهو أدعى إلى الإيقاظ وإثارة الاهتمام بالمطلوب ووجوب تنفيذه.

3/ التّعريف والتّنكير: قال السيوطي في الإتقان: «اعلم أنّ لكلّ منهما مقاما لا يليق بالآخر»⁵، فسياق النّص هو الذي يحكم ما إذا كان المقام مقام تعريف أو تنكير، ومن الأمثلة التي ساقها في «التّعريف قصد التّعظيم، قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ذهابا إلى بعد درجته»⁶.

¹ - عرفات فيصل المتاع، السّياق والمعنى، ص45.

² - البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج5، ص21.

³ - تفسير البيضاوي، المصدر نفسه، ج5، ص21.

⁴ - الفيض الكاشاني، تفسير الصّافي، ج2، ص188.

⁵ - خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين السّياق والنّص، جدار للكتاب العالمي عمّان، الأردن، ط1،

1429هـ - 2008م، ص318.

⁶ - الخطاب القرآني، المرجع نفسه، ص318.

ومن أمثلة التَّنْكِيرِ قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة /126. على التَّنْكِيرِ، وفي سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ إبراهيم/35. على التَّعْرِيفِ، وسرَّ ذلك كما ورد في تفسير البيضاوي؛ «أنَّ المسؤول في الأوَّل إزالة الخوف عنه وتصويره آمنًا، وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة».¹ وقيل: «بأنَّ مكَّة كانت حلالًا قبل دعوة إبراهيم عليه السَّلام كسائر البلاد، وأنَّ بدعوته صارت حرماً آمناً كما صارت المدينة بتحريم رسول الله صلى الله عليه وسلَّم آمنًا بعد أن كانت حلالاً».² فالدَّعوة في الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلداً، أمَّا في الثانية فقد جعل بلداً. فكان للتَّنْكِير أثر في توجيه دلالة الأمر الذي خرج إلى معنى الدَّعاء في هذه الآية الكريمة فدَلَّ على المبالغة في طلب الأمن، لا طلبه فقط.

يقول صاحب السِّيَاق والمعنى: «إنَّ للسِّيَاق اللُّغوي القبلي أو البعدي دوراً رئيساً في تغيير دلالة بعض الأساليب، فتخرج من الخبر إلى الإنشاء وإن كان ظاهر بنيتها يوحي بأنَّه خبري كما في قول عبيد الله بن قيس الرقييات [من المنسرح]:

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعَوَانِي فَمَا يُضِيحُنَّ إِلَّا لَهْنٌ مُطَلَّبُ

فالشاعر وإن اختار الأسلوب الخبري المنفي (لا بَارَكَ اللهُ) ليني عليه نصّه الشعري إلا أننا نستطيع أن نشعر بالطلب متمثلاً بالدَّعاء على وجه الدَّم من وراء هذا القول».³ فأما قولك رحم الله خالداً، وغفر الله لنا، ونحوه. فإنَّ ظاهره خبرٌ ومعناه الطَّلَب، وإمَّا لتعلم السامع أنَّك لا تخبر عن الله جلَّ وعلا وإمَّا تسأله.

وربما يُوَدِّي السِّيَاق في أحيان كثيرة، إلى خروج دلالة الأسلوب من الدلالة الحقيقيَّة إلى دلالة جديدة، مستفادة من قرائن السِّيَاق اللُّغوية السَّابقة للأسلوب واللاحقة له، ففي قوله تعالى: ﴿مَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فصَّلت/34،35. فالدلالات المتقدِّمة واللاحقة لفعل الأمر (ادفع)، عملت على تغيير مسار الدلالة المباشرة إذ ولَّدت دلالة جديدة، فالحسنات متفاوتة وكذلك السِّيَآت، لذا قال ادفع بالتي هي أحسن من

¹ - البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج3، ص200.

² - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص383.

³ - عرفات فيصل المتاع، السِّيَاق والمعنى، ص117-118.

بين الحسنات التي تردّ بها على من أساء إليك، بمعنى: «دار القوم ولا تغلط عليهم، فمعى الحسنة هنا المداراة، والسيئة المراد بها الغلطة»¹، أي: من أساء إليك أحسن إليه ليعود عدوك وليك. وهي دعوة بالصّفح وبالتالي وجهت دلالة الفعل إلى معنى الإرشاد.

ومن أمثلة خروج الأمر عن دلالاته الحقيقيّة بتأثير من سياقه السابق إلى دلالة مجازيّة وهي التّحدّي والتّعجيز، الفعل (كونوا) في قوله تعالى: ﴿أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (51) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (52) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا رُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُزَحِّمَكُمْ أَوْ يُرْسِلْ يَنْزِعُ عَنْكُمْ إِذْ يَشَأْ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (54) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُورًا (55) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا (57) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿ الإسراء/51-59. إذ تحوّلت دلالة الأمر إلى المعنى المجازي بعاملين اثنين هما:

1/ السياق السابق للنص: المتمثل في سؤالهم الاستنكاري حول يوم البعث والمقترن بشيء يروونه مستحيلًا ألا وهو خلقهم من جديد، إذ قالوا: ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ الإسراء/49، فتحذاهم الله عز وجل بما هو أكبر وهو خلق الحجارة أو الحديد أو خلقًا مما يكبر في صدورهم، «فإن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض، فكيف إذا كنتم عظاما مرفوثة»².

2/ المصاحبة اللغويّة: يقول عرفات فيصل المتّاع: «إذ لا توجد في اللّغة العربيّة مصاحبة لغويّة بين الأمر بكونوا وبين الحجارة أو الحديد أو الخلق الذي يكبر في صدورهم وهو الموت، فدلّ هذا على إنحراف معنى الأمر إلى معنى آخر تدلّ عليه عناصر السياق الأخرى»³ وعليه

¹ - محمد بن حسن الطّوسي، التّبيان في تفسير القرآن، مج9، ص126.

² - البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج3، ص258.

³ - عرفات فيصل المتّاع، السّياق والمعنى، ص200.

فيجب أن ننظر إلى الأسلوب في محيطه اللغوي الكامل، إن أردنا أن نعطي فهمًا دقيقًا لمعناه، «لأنّ الأساليب في العربية تأخذ بعدا شكليا وآخر سياقيا، يتمثل الشكليّ في ما اتفق عليه النحاة والبلاغيون، من صيغ وأدوات تميّزها عن غيرها، أمّا السياقي فيتمثل في تفاعلها مع عناصر لغويّة أو غير لغويّة فينتج عن ذلك تغيير مدلولات تلك الأساليب، بل إنّنا قد نحصل على نقيض تلك الأساليب نتيجة لهذا التأثير والتأثر المتبادل فيما بينها»¹، ولنأخذ الآية القرآنية الآتية كمثال على ما نقول، الفعل (آمنوا) في قوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلآذْقَانِ سُجْدًا﴾ الإسراء/107. قد تحوّلت دلالاته من إيجاب الإيمان إلى معنى التسوية، أي: «حتى ولم تؤمنوا به فقد آمن به هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة، فإيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا»². وذلك عبر إضافة أسلوب التّهي له وربطه بالرابطة (أو)، فعمل أسلوب التّهي كسياق لاحق لأسلوب لأمر. ومن هنا يمكن القول أنّ الأساليب حقيقة تتفاعل من أجل بيان المعنى.

فالسّياق اللّغوي عامّة عبر علاقاته التّركيبية هذه يحقّق فائدة في الأسلوب أو النّص، إذ يريك المؤخّر مقدّمًا، والمخدوف مذكورًا، والمضمّر مظهرًا، وما أُبهم واختلط أمره اتّضح، وما تعدّدت دلالاته أحكمت في وجهة واحدة.

4-2. المستوى الدلالي:

«إنّ البحث عن المعنى أو الدلالة هو الرّكيزة الأساسية في النّظرية السياقيّة، فهو النّتيجة الحتميّة لدراسة المستويات المتقدّمة، ونشير هنا إلى أنّ تلك المستويات أنتجت معانيّ لكنّها مجزأة، تضمّ بعضها إلى بعض حتّى تنتج لنا نصًّا يتطابق فيه نظم الكلام مع الأسلوب، فإذا ما فسد هذا التّطابق أفسحت الطّريق للبس الذي سيرمي بهذا المعنى في واد آخر، ويكون القارئ مضطرًا إلى إعادة شكلنة هذه الأجزاء بالكيفيّة التي يراها مناسبة للحصول على المعنى المقصود.

فجميع النّقاد يعدّون بيت الفرزدق [من الطّويل]:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ حَيٌّ يَقَارِبُهُ

¹ - عرفات فيصل المتاع، السّياق والمعنى، ص202.

² - البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج3، ص269.

فاسدًا؛ لأنّ فيه معازلة بين الكلام وتقديم على غير الوجه ولم يزيدوا على هذا التفسير شيئًا، أمّا الجرجاني فقد بيّن فساد نظمه بالمفارقة الحاصلة فيه بين ترتيب المعاني في الفكر وترتيب الألفاظ في الذكر»¹. فظاهره سليم من ناحية المستويات الثلاثة، لكن الذي أصيبه خلل كبير في المعنى، أو موافقة الظاهر للباطن. يقول الجرجاني: «فانظر أيتصور أن يكون ذمّه للفظه من حيث أنّك أنكرت شيئًا من حروفه، أو صادفت شيئًا وحشيا غريبا أو سوقيًا ضعيفًا، أم ليس إلاّ لأنّه لم يُرتّب الألفاظ في الذكر، على موجب ترتّب المعاني في الفكر فكذلك وكدر ومنع السّامع أن يفهم الغرض إلاّ بأنّ يقدم ويؤخّر، ثمّ أسرف في إبطال النّظام وإبعاد المرام وصار كمن رمى بأجزاء تتألّف منها صورة، ولكن بعد أن يراجع فيها بابا من الهندسة لفرط ما عادي بين أشكالها وشدّة ما خالف بين أوضاعها»². يفهم من هذا أنّ النّظم نحصل عليه حينما نكون قد أنتجنا دلالة واضحة في كلامنا، والنّظم نظم المعاني لا الكلمات.

ومهما يكن من أمر فإنّ الذي نريده من كلّ ما سبق هو تأكيد دور السّياق اللّغوي في تحديد المعنى، سواءً أكان معنى المفردة أم المعنى الإجمالي للجملة.

«فالسّياق اللّغوي له دور فعّال في توجيه دلالة الأمر، ممّا يساعد على تحديد دلالة المعاني، وتقريب الدّلالات على مستوى المفردات أو التّراكيب، فيستحيل أن تعطي معنى كلمة دون وضعها في سياق، وأنّ لا معنى للكلمة خارج السّياق الذي ترد فيه، ولا يتحدّد معناها إلاّ به»³، وهو عموماً عبر علاقاته التّركيبية هذه يحقّق فائدة في الأسلوب أو النّص، حيث يريك المؤخّر مقدّمًا، والمخدوف مذکورًا، والمضمر مظهرًا، وما أجهّم واختلط أمره اتّضح وما تعدّدت دلالاته أحكمت في وجهة واحدة.

فالسّياق له دور في إحكام الدّلالة المباشرة لأسلوب الأمر، إذ يعمل على توجيهها نحو معنى واحد مقصود من بين المعاني التي يسمح بها هذا الأسلوب، كما تعدّ معرفة منزلة المتلقّف بالأسلوب من أهمّ العناصر السّياقية التي لها أثر بالغ في تحديد الدّلالة المباشرة للأساليب بالنّسبة للسّامع أو حتى القارئ، وهذا ما يظهر في سياق الموقف.

¹ - عرفات فيصل المتاع، السّياق والمعنى، ص24.

² - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق، محمود محمّد شاكر، ص20-21.

³ - آسيا حنك، الأمر والنّهي وفاعليّة السّياق في تحديد المعنى، ص35.

3- سياق الموقف:

سياق الموقف هو البيئة غير اللغوية، التي تحيط بالخطاب وتبيّن معناه وتشمل هذه البيئة «زمن المحادثة ومكانها، والعلاقة بين المتحدثين والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة»¹، إذ لا توجد قرينة قادرة على الكشف عن المعنى غير عناصر هذا السياق بطورها الاجتماعية والتاريخية، «وهذا ما اصطلح عليه المفسرون بـ: أسباب النزول»² أو كما عبّر عنها عبد القادر عبد الجليل بـ: «مجموعة الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي ابتداءً من المرسل والوسط وحتى المرسل إليه بمواصفاتهم وتفصيلاتهم المتناهية في الصغر»³ إذ يصعب عليك فهم نصّ ما دون معرفة الظروف المحيطة به، كونها تساعد كثيرا في إزالة اللبس عنه. «وهذه الظروف التي حدّدها فيرث من أجل الوصول إلى هدفه الأكبر وهو بيان المعنى، هي:

1/ السمات المشتركة بين المشاركين، الأشخاص، الشخصيات:

أ/ العمل اللفظي للمشاركين.

ب/ الأعمال غير اللفظية للمشاركين.

2/ الدوافع المشتركة (الغايات).

3/ أثر العمل اللفظي في المشاركين، ك"الإقناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك...

إلخ»⁴.

ولنأخذ بعض الأمثلة القرآنية لما قلنا، فكأن يقع اختلاف في تعيين المخاطب، إذ لهذا الاختلاف أثر في توجيه دلالة الآيات واختلاف دلالاتها، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفَ رْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الحديد/28. يقول الزمخشري في تفسيرها: «﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يجوز أن يكون خطابا للذين آمنوا من أهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم، فإن كان خطابا لمؤمني أهل الكتاب، فالمعنى: يا أيّها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد... وإن كان خطابا لغيرهم فالمعنى: اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله»⁵. فاختلاف المخاطب قد وجه

1 - عرفات فيصل المتاع، السياق والمعنى، ص25.

2 - مسعود بودوخة، السياق والدلالة، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2012م، ص167.

3 - فطومة لحمادي، السياق والنص، ص14.

4 - عرفات فيصل المتاع، السياق والمعنى، ص26.

5 - الزمخشري، الكشاف، ج6، ص53-54.

دلالة الأمر في هذه الآية. ونحوه في الآية 87 من سورة الأعراف، قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ذهب الزمخشري إلى أن الآية «إمّا وعيد للكافرين إن كان الخطاب لهم، وإمّا عظة وحثّ على الصبر إذا كان المؤمنون هم المخاطبون، ويجوز أن يكون الخطاب للفريقين، أي: ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوؤهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميّز الحبيث من الطيب»¹. فالواضح أنّ اختلاف المخاطب قد عمل على توجيه دلالة الأمر بين الوعيد والحثّ على الصبر.

وعليه تتعلق الدلالة بالمخاطب فتتغير بتغيره، ومن الناحية المقابلة قد يكون سبب اختلاف الدلالة اختلاف المخاطب، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ يوسف/10. ففعل الأمر (ألقوه) لم يرد بمعناه الحقيقي الإلزامي، وإمّا دلّ على المشورة، لقول الطوسي في تفسيره: «أنّ الله تعالى أخبر عن واحد من جملة القوم أنّه قال على وجه المشورة عليهم (لا تقتلوا يوسف) ولكن اطرحوه في جبّ عميق قليل الماء»². فعملت المساواة بين درجة المتكلم ومجموعة المخاطبين على توجيه الأمر من الاستعلاء إلى المشورة.

وفي هذا الصدد نشير إلى أنّ أسباب النزول العامة والخاصة، وملابساته التي تحيط بالآيات القرآنية كونها تنزل بحسب الأحداث والوقائع، تعدّ عنصراً رئيساً من عناصر السياق، لما كان لها تأثير كبير في توجيه دلالات الآيات القرآنية.

4- السياق الثقافي:

وهو البيئة أو المحيط الذي ينشأ فيه النصّ فلكلّ عصر ثقافته الدينيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، التي ميّزه عن غيره من العصور، واللغة كونها عاكسة لتلك الثقافة فبطبعها تتغير معها، وبالتالي فإنّ دراسة أي لغة بمعزل عن محيطها الثقافي لا يؤدي بنا إلى المرام الذي نرغبه، «وغالباً ما يكون هذا المحيط اجتماعياً، فللسياق الثقافي أهمية بارزة إذ يقتضي القارئ لكي يفهم نصّاً من النصوص أن يلمّ بالسياق الثقافي لهذا النصّ فالدلالة المعجميّة تكون مظلمة له إذ

¹ - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص473-474.

² - محمد بن حسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، مج6، ص103.

لم يتوسّع بالبحث عن المعاني الأخرى والتي يستمدّها من السياق الثقافي¹، إذ يحدّد دلالة الكلمة المقصودة التي تستخدم استخدامًا عامًا، فاستعمال كلمة (عملية) لدى الأطباء تعني مباشرة العملية الجراحية، على حين أنّ دارجي الرياضيات وطلابها يحدّدون دلالتها على أنّها عملية رياضية، وهكذا تسير بحسب السياق والثقافة، ففي قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ الإسراء/64. إذ يخاطب الله سبحانه وتعالى إبليس طالبا منه إن استطاع «أن يستخفف ويستفزّ عباده بدعائه إلى الفساد... والمواعيد الباطلة»²، وهذا أمر يتنافى كليًا مع معرفتنا بالله جلّ جلاله لاستحالة أن يكون معنى الأمر بالمعصية، وإنّما إنّي أقدرتك بأن تفعل ذلك، والقريظة التي وجّهت دلالة الأمر هنا هي قريظة ثقافية دينية.

ومن هنا فعلى اللغوي الانتباه إلى الدور الذي يؤديه المحيط الثقافي في الكشف عن مستوى الثقافات المختلفة التابعة لتطور العصور.

¹ - فطومة لحماوي، السياق والنص، ص15.

² - البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج3، ص260-261.

الفصل الثاني: أسلوب الأمر والبحث التداولي في القرآن الكريم

المبحث الثاني: أسلوب الأمر وأفعال الكلام

أولاً: ماهية الأفعال الكلامية

ثانياً: دلالة الجملة الخبرية على الأمر في القرآن الكريم

ثالثاً: فعل الأمر والتوجيهات في القرآن الكريم

المبحث الثاني: أسلوب الأمر وأفعال الكلام

أولاً: ماهية الأفعال الكلامية:

قبل الحديث عن أسلوب الأمر من منظور البحث التداولي، حريّ بنا التوقف ولو لهنية عند المقصود بفكرة الأفعال الكلامية، كيف نشأت؟ ما هو منبعها الأول؟ من هم الذين عملوا على إضاءة الطريق أمامها؟

يعود الفضل الأبرز في شيوع فكرة الأفعال الكلامية، إلى العالم "جون أوستين J. Austin" وتلميذه "جون سيرل J. Searle"؛ حيث بحث الأول في كيفية القيام بفعل من خلال الكلام، واعتبر التلقظ قطبا مهماً في عملية التواصل، فهو يمثل الأساس الذي تبنى عليه نظرية أفعال الكلام، باعتباره ممارسة المخاطب لإنجاز فعل ينسجم مع سياق الخطاب. لذلك أطلقوا عليها أيضاً: نظرية الحدث اللغوي، ونظرية الحدث الكلامي، والنظرية الإنجازية. «فعندما يتحدث المتكلم فإنه في حقيقة الأمر يخبر عن شيء، أو يصرخ بتصريح، أو يأمر، أو ينهى، أو يلتمس، أو يعد، أو يشكر، أو يتزوج، أو يطلق، أو يعقد صفقة تجارية»¹ والفكرة برمتها مستقاة من الفلسفة التحليلية، حيث مهّد لها العالم الألماني "فريجه Frege" وكانت بمثابة الانقلاب على الفلسفة القديمة، من المنظور الوظيفي. وعمل العالم النمساوي "فيتغنشتاين Wittgenstein" على إرساء قواعد النظرية، حين ارتبط اسمه بفلسفة اللغة العادية، والتي تظهر عملية التواصل بين أطراف التخاطب، في أبسط صورها، بل تجسّد أفكار العالم "بول غرايس P. Grice" الذي سنّ فيما بعد قانون التعاون بين طرفي المحادثة، وفق مجموعة مبادئ تضمن نجاح عملية التخاطب، نعي بذلك مبدأ الكم، ومبدأ الكيف، ومبدأ الوضوح، ومبدأ المناسبة. ومن هذه النقطة يمكن التلميح إلى طرق فكرة الأفعال الكلامية في تراثنا العربي القديم، من خلال نظرية الخبر والإنشاء، والتي تناولها علماءنا بإسهاب كبير، من أيام "سيبويه" العالم النحوي الذي اعتبر الأفعال من نواتج الكلمات حين يعرف الفعل قائلاً: «وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع. فأما ما مضى، فذهب، وسمع، ومكث، ومحمد. وأما بناء ما لم يقع، فإنه قولك أمراً: اذهب،

¹ - منقول عن: خلوي قدور، مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني (سورة الكهف نموذجاً) أطروحة دكتوراه، تخصص لسانيات تداولية، جامعة أحمد بن بلة، وهران 2014 - 2015م، ص9.

John Searle: les actes de langage, essai de philosophie du langage, collection savoir, paris, 1972, p 52.

واقْتُلْ، واضْرِبْ. ومخبراً: يَقْتُلْ، وَيَذْهَبْ، وَيَضْرِبْ، وَيُقْتَلْ، وَيُضْرَبْ. وكذلك بناء ما لم يَنْقَطِع وهو كائن، إذا أُخْبِرَتْ»¹، ونذكر كذلك "الجاحظ"، و"أبا هلال العسكري" و"الزمخشري" و"عبد القاهر الجرجاني" و"أبا يعقوب السكاكي" ولفيف من أعلامنا الذين اهتموا بقضايا التّواصل، وبمستويات التّعبير المختلفة للغة العربيّة الحاملة لقوى إنجازيّة، تختلف باختلاف المقامات. كما تجدر الإشارة هنا إلى التّعديل الذي جاء به "جون أوستن J. Austin" بشأن تقسيم الكلام؛ فالعرب الأوائل اعتمدوا تقسيمه إلى كلام خبريّ يحتمل الصدق أو الكذب، وكلام إنشائي لا يمكننا الحكم عليه بأنّه صادق أو كاذب، وهو طليّ وغير طليّ، وهو تقسيم السّواد الأعظم من علماء تلك المرحلة، رغم عدم استغراق هذا التّقسيم لكلّ الحالات، كأن يقول القائل: (سأصومُ رمضانَ بدايةً من الغدِ) فعلى الرغم من أنّ الجملة خبريّة، إلّا أنّك لا تستطيع أن تقول للقائل أنت صادق أو كاذب. اقتضى الأمر بعد ذلك، التّمييز بين الخبر و الإنشاء على أساس تداوليّ، تكون فيه القصدية معيارَ فصلٍ بينهما، لتتوالى المعايير بعدئذٍ و الهدف واحد، إنّه -ولا ريب- إحكام عملية التّواصل بين المتخاطبين وإنجاحها.

وبالعودة إلى "أوستن Austin" وجهوده في أفعال الكلام نجده يقسّمها ثلاثة أقسام: أفعال قولية، أفعال متضمّنة في الأقوال، أفعال ناتجة عن أقوال، وقد توصّل إلى هذا التّقسيم بعد بحث متواصل أهداه إلى أنّ الفعل الكلاميّ متجلّ في الحكميات، الأحكام التي يصدرها القضاة، أو التنفيذيات مثل اتخاذ قرار بشأن تعيين موظف أو عزله من منصبه، وإمّا الوعديات المجسّدة فيما يقطعه المتكلّم على نفسه من وعود، أو العرضيات كتبيين وجهة النظر والمواقف، أو أنّها سلوكيات تتمثّل ردود أفعال كالاعتذار أو التّعاقّد أو القسم. ويأخذ "سيرل Searle" المشعل عن أستاذه ليواصل عملية تعبيد الطريق أمام البحث اللّغوي، ليعمد إلى تطوير نظريّة الأفعال الكلاميّة، فيقسّمها إلى: إخباريات يكون فيها اتّجاه المطابقة من الكلمات نحو العالم، وتوجيهيات يحاول المتكلّم من خلالها توجيه المخاطب إلى فعل معين، اتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، التزاميات يلتزم المتكلّم حيالها بفعل ما، اتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وقد تكون تعبيريات كالتّعبير عن موقف نفسيّ مثلاً، وليس لهذا القسم اتّجاه مطابقة، لأنّها لا تتعدّى التّهنئة أو الاعتذار أو المواساة، وهنا لا يكون المتكلّم في حاجة للمطابقة بين العالم والكلمات. كما يمكن أن تكون الأفعال الكلاميّة إعلانيات سمتها المميّزة

¹ - سيبويه، كتاب سيبويه، ج 1، ص 38.

مطابقة محتواها القضوي، للعالم الخارجي. ونلفت عناية القارئ أنّ "سيرل Searle" قام بتمييز الأفعال الإنجازية إلى: مباشرة تطابق قوتها الإنجازية مقاصد المتكلم، وغير مباشرة تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم. وهو ما يؤكد توجيه دلالة الإنشاء والخبر على حدّ سواء، بعد تأكيد باحثي التداولية على أنّهما صانعا أفعال.

ثانيا: دلالة الجملة الخبرية على الأمر في القرآن الكريم:

حاض علماءنا الأوائل كثيرا في مسألة تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، من أمثال: "السكاكي" و"الفتازاني" و"القزويني" و"الجرجاني" و"أبي العباس اللغوي" و"السبكي" كما قسّموا الإنشاء قسمين، طلبيّ و غير طلبيّ، ويعدّ الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبيّة التي تتردّد على الألسن كثيرا بصور مختلفة، غير أنّ البحث التداولي أكدّ مجيئ الأمر خبرا، ونشتمّ عقب الفكرة في قول الخطيب القزويني «ثمّ الخبر يقع موقع الإنشاء، إمّا للتفاؤل، أو لإظهار الحرص في وقوعه كما مرّ، والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الوجهين، أو للاحتراز عن صورة الأمر، كقول العبد للمولى إذا حوّل عنه وجهه: ينظر المولى إليّ ساعة، أو لحمل المخاطب على المطلوب، بأن يكون المخاطب ممّن لا يحبّ أن يكذب الطالب، أو لنحو ذلك»¹. إذا نستشفّ من هذا القول تظنن الرعيّل الأول من علمائنا، النحاة منهم، أو البلاغيين، أو الأصوليين، إلى إمكانية إنشاء أفعال من خلال الجملة الخبرية، بعدما أكدّ المهتمون بشؤون اللغة، إنجاز الأفعال بأقوال إنشائية، تستفاد من السياقات المختلفة، تناولها أسلافنا باسم أغراض الكلام، في حين سمّاها المعاصرون بمتضمّنات القول. ونحن إذ نبحث في أسلوب الأمر القرآني، ضمن الجملة الخبرية، ألفينا عديد الآيات في مختلف السور، تبرز ورود الأمر على شاكلة الخبر الحامل على إنجاز فعل ما.

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة/67. الفعل (يأمركم) مضارع لم يقترن بلام الأمر، بل ويحمل مع الجملة التابع لها خبرا كما هو ظاهر، لكن الأمر في الآية جليّ يؤكّده القرطبي في تفسيره «فَسَأَلُوا مُوسَى أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ- فَسَأَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ فَأَمَرَهُمْ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ»².

¹ - القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص105.

² - تفسير القرطبي، ص446.

وقد عدّ الشّاطبي هذا النوع أمراً غير صريح، له ضروب شتى، كالإخبار عن تقرير الحكم، أو ما جاء مدحا له أو لفاعله. أمّا "سيرل Searle" فسمّاها الأفعال الكلامية غير المباشرة. أمّا بالعودة إلى الآية فإنّ القوّة الإنجازية للفعل (يأمركم) هي تقرير الحكم، ولم يكن من شأن اليهود السؤال عن علّة الطلب، أو المماثلة في الاستجابة له، لأنّ الأمر أرفع منزلة، وهو الأدرى بشؤون عباده.

ونفهم الأمر كذلك من قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ يوسف/47، فالفعل (تزرعون) ورد هنا بمعنى الأمر، أي ازرعوا سبع سنين، «والدليل على كونه في معنى الأمر قوله فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ. دَأْبًا بسكون الهمزة وتحريكها، وهما مصدران: دأب في العمل، وهو حال من المأمورين، أي دائبين: إمّا على تدأبون دأبًا، وإمّا على إيقاع المصدر حالا، بمعنى: ذوي دأب فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ لثلا يتسوس»¹. وملفوظ (تزرعون) يتضمّن فعلا إنجازيا، قوّة الإنجازية كامنة فيه، فهو قول يستدعي عملا. وقد «قام أوستين Austin" بتقسيم الجملة الخبرية نفسها إلى: وصفية constative وإنشائية performative بانبا هذا التقسيم على أساس أنّ ما وضعه تحت الإنشائيات هو:

أ- جمل تُقال لا لوصف أو سرد أو تصوير أيّ شيء، فهي ليست صادقة أو كاذبة، بل إنّ ب- تلقّظ هذه الجمل هو، أو هو جزء من القيام بفعل لا يوصف عادة بأنّه قول شيء، أو مجرد قول شيء... ومن أمثلة هذه الجمل:

- أقبل (أن تكون هذه المرأة زوجتي الشرعية).

- أراهنك بست سنتات على أنّها ستمطر غدا.

ففي هذه الأمثلة يبدو واضحا أنّ تلقّظ الجملة (في الظروف المناسبة) ليس وصفاً لقيامي بالفعل الذي يُفترض أن أكون قائما به عندما أقدم على هذا التلقّظ، ولا هو إخبار بأنني أقوم بهذا الفعل، إنّّه عين القيام بهذا الفعل»². هذا التمثيل هو جزء يسير من اهتمام التداوليين بمسألة تقسيم الكلام، باعتبار الأخير مادّة بحثهم الأساسية، ففي الإطار ذاته «أنكر أوستن أن تقتصر وظيفة وصف وقائع العالم state of affaires وصفاً يكون إمّا صادقا وإمّا كاذبا، وأطلق عليه المغالطة الوصفية descriptive fallacy، ورأى أنّ هناك نوعاً من العبارات يشبه

¹ - الزّحشري، الكشاف، ج2، ص476.

² - طالب سيّد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، د تحق، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994م، ص4 - 5.

العبارات الوظيفية في تركيبها، لكنّه لا يصف وقائع العالم، ولا يوصف بصدق ولا كذب، كأن يقول رجل مسلم لامرأته: أنت طالق، أو يقول: أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان، أو يقول وقد بشر بمولود: سمّيته يحيى، فهذه العبارات وأمثالها لا تصف شيئاً من وقائع العالم الخارجي، ولا توصف بصدق أو كذب، بل إنك إذا نظقت بوحدة منها أو مثلها لا تنشئ قولاً to maker state بل تؤدّي فعلاً performe action فهي أفعال كلام، أو هي أفعال كلامية¹.

ومن استعمال الخبر بمعنى الأمر قوله جلّ وعلا: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة/228 فقوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ كلام خبري دلّ على الأمر، «والذي يدلّ على أنّ الخبر مستعمل في معنى الأمر سياق الكلام، وما يستوجبه من الإلزام، يقول الزركشي في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾: >إنّ السياق يدلّ على أنّ الله تعالى أمر بذلك، لا أنّه خبر، و إلاّ الخلف في الخبر² ولذلك قالوا بأنّ استعمال الخبر في معنى الأمر أو النهي في القرآن الكريم، إنّما هو من الصيغ المستعملة في الوجوب³. الفعل (يتربصن) فعل غير مباشر بلغة التداوليين المعاصرين، اتّجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات. «والظاهر أنّ اتّجاه المطابقة في الالتزاميات والتوجيهيات واحد، فهل يسوّغ ذلك ضمّها في قسم واحد؟ والجواب أنّ ذلك غير ممكن لسببين: أحدهما أنّ المرجع في الالتزاميات هو المتكلّم، أمّا في التوجيهيات فهو المخاطب. والثاني أنّ المتكلّم في الالتزاميات لا يحاول التأثير في السامع، وفي التوجيهيات يحاول التأثير فيه»³.

تتالي آيات الدّكر الحكيم الدّالة على الأمر، المتخذة شكل الجملة الخبرية، مثل قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الصف/11. كما هو ملاحظ فإنّ الفعلين (تؤمنون) و(تجاهدون) ظاهرهما مضارع، لكن وجهها

¹ - محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م، ص43.

² - قيس إسماعيل الأوسي، أساليب الطّلب عند التّحويين والبلاغيين، ص202.

³ - محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص79.

للدلالة على الأمر «وَفِي التَّعْبِيرِ بِالْمُضَارِعِ إِفَادَةُ الأَمْرِ بِالدَّوَامِ عَلَى الإِيمَانِ وَتَجْدِيدِهِ فِي كُلِّ آنٍ، وَذَلِكَ تَعْرِيفٌ بِالمُنَافِقِينَ وَتَحذِيرٌ مِنَ التَّعَاطُلِ عَنِ مُلَازِمَةِ الإِيمَانِ وَشُؤُونِهِ. وَأَمَّا وَتُجَاهِدُونَ فَإِنَّهُ لِإِرَادَةِ تَجَدُّدِ الجِهَادِ إِذَا اسْتُنْفِرُوا إِلَيْهِ. وَجِيءُ يُغْفَرُ مَجْزُومًا تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ تُؤْمِنُونَ وَتُجَاهِدُونَ وَإِنْ جَاءَ فِي صِبْغَةِ الخَبَرِ فَالْمُرَادُ الأَمْرُ لِأَنَّ الجُزْمَ إِتْمَا يَكُونُ فِي جَوَابِ الطَّلَبِ لَا فِي جَوَابِ الخَبَرِ. قَالَهُ المُبَرِّدُ وَالزَّمخَشَرِيُّ»¹. أما اتجاه المطابقة فهو من الكلمات إلى العالم، والقوة الإنجازية تقريرية. وعلى أساس توجيه دلالة المضارع للإفادة بالأمر «جعل كل من (أوستن) و(سيرل) المقاصد مركزا في التفريق بين المعنى التعبيري، معنى الكلمات في الملفوظ، وبين قوة الأفعال الغرضية، أي النتيجة التي يقصد المتكلم نقلها [...] وقد ركز فلاسفة اللغة على الطرق التي يبحث عنها المتكلم لنقل مقاصده إلى المتلقي، وذلك بكل الوسائل التعبيرية والغرضية، ولكن بنفس القدر من الأهمية، يجب أن ندرك أن فهم مقاصد الآخرين، شيء مركزي لنجاح التخطيط في التفاعل»². نلاحظ من خلال هذا القول التركيز على مبدأ القصدية الذي ركز عليه التداوليون تحليلاتهم، وهم يسعون وراء إظهار علاقة التواصل بين المتكلم والمخاطب.

ونجد الأمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة/183. جاء في الآية الفعل الماضي المبني للمجهول (كُتِبَ)، وقد تكرر مرتين ضمن جملتين خبريتين تحمل كل منهما معنى الأمر. «فَمَعْنَى كُتِبَ عَلَيْكُمُ أَنَّهُ حَقٌّ لَازِمٌ لِلأُمَّةِ لَا مَحِيدَ عَنِ الأَخْذِ بِهِ فَضَمِيرُ عَلَيْكُمُ لِمَجْمُوعِ الأُمَّةِ عَلَى الجُمْلَةِ. وَفِي قَوْلِهِ: كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ تَشْبِيهٌُ فِي أَصْلِ فَرْضِ مَاهِيَةِ الصَّوْمِ لَا فِي الكَيْفِيَّاتِ، وَالتَّشْبِيهُ يُكْتَفَى فِيهِ بِبَعْضِ وَجُوهِ المُشَابَهَةِ وَهُوَ وَجْهُ الشَّبَهِ المُرَادُ فِي القَصْدِ»³ والمقصود هنا فرض الصيام على الذين آمنوا، وعلى الذين سبقوهم في الإيمان، وكأن الله يقول لهم: صوموا.

«ويأتي الأمر بصيغة الخبر مفيدا (الأمر الحقيقي) و(الدعاء). يقول سيبويه: ⁷ واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل (دعاء) لأنه استعظم أن يقال: (أمر) و(نهي)... تقول:

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص 194.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، ص190.

³ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص 138.

(زيدا قطع الله يده)، و(زيدا أمر الله عليه العيش)، لأنّ معناه معنى: زيدا ليقطع الله يده) < ويقول الجرجاني: > كما أنّ (يعفو الله لزيد) في اللفظ خبر، وفي المعنى دعاء مجزوم نحو: (ليعفو الله لزيد) لأنّ أصل الدعاء أن يكون مجزوما باللام < >¹

وحين الانتقال إلى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدَاةٍ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ البقرة/178، الشاهد في هذه الآية ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ فكما هو ظاهر أنّ الجملة خبرية، وفق تصنيف البلاغيين والنحاة الأوائل، غير أنه حين ننظر إلى المقصود، نلغي الطلب المحسّد في الأمر شاخص ومن ذلك أيضا قوله جلّت قدرته: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة/180. نستشف من (كُتِبَ عَلَيْكُمْ) الأمر «فالقول في كُتِبَ تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي الْوَجُوبِ قَرِيبٌ مِنَ النَّصِّ فِيهِ. وَتَحْرِيدُهُ مِنْ عِلْمَةِ التَّأْنِيثِ مَعَ كَوْنِ مَرْفُوعِهِ مُؤَنَّثًا لَفْظًا لِاجْتِمَاعِ مُسَوِّغِينَ لِلتَّحْرِيدِ وَهُمَا كَوْنُ التَّأْنِيثِ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ وَلِلْفَصْلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفِعْلِ بِفَاصِلٍ، وَقَدْ زَعَمَ الشَّيْخُ الرَّضِيُّ أَنَّ اجْتِمَاعَ هَذَيْنِ الْمُسَوِّغَيْنِ يُرَجِّحُ بَحْرِيَّةَ الْفِعْلِ عَنْ عِلْمَةِ التَّأْنِيثِ وَالذَّرْكَ عَلَيْهِ»².

لاحظنا في الآيات السابقة ورود الفعل (كتب) بمعنى الأمر، وهي مسألة تكررت في القرآن الكريم بشكل لافت، لكن تأمل قيمة اللغة العربية، وتعدّد دلالات الكلمة تبعا لسياق الورد ففي قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَلِينَ ﴾ (20) كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلَبِ بْنِ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ المجادلة/20 - 21.

«فالكِتابَةُ استعيرت للمعنى: قَضَى اللَّهُ ذَلِكَ وَأَرَادَ وَقُوعَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَلِمَهُ وَأَرَادَهُ فَهُوَ مُحَقَّقُ الْوُقُوعِ لَا يَتَخَلَّفُ مِثْلُ الْأَمْرِ الَّذِي يُرَادُ ضَبْطُهُ وَعَدَمُ الْإِخْلَالِ بِهِ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ لِكُنْيَ لَا يُنْسَى وَلَا يُنْقَضُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يُجْحَدُ التَّرَاضِي عَلَيْهِ... وَجُمْلَةُ لِأَعْلَبِ بْنِ مَصُوعَةً صِيغَةَ الْقَوْلِ تَرْشِيحًا لِاسْتِعَارَةِ كِتَابَ إِلَى مَعْنَى قَضَى وَقَدَّرَ. وَالْمَعْنَى: قَضَى مَدْلُولُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ، أَيَّ قَضَى بِالْعَلْبَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ هِيَ الْمَكْتُوبَةُ مِنَ اللَّهِ. وَالْمُرَادُ:

¹ - قيس إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص201.

² - أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، المرجع نفسه، ص146.

الْعَلْبَةُ بِالْقُوَّةِ لِأَنَّ الْكَلَامَ مَسُوقٌ مَسَاقَ التَّهْدِيدِ»¹. ويجب أن نعترف هنا أن مسألة التمييز بين الخبر والإنشاء عند لغويينا، من أمثال ابن سينا والفارابي شبيهة بتلك التي جاء بها تحليل التداوليين المعاصرين، في الانطلاق من الاعتبارات التداولية: كقصد المتكلم، ومراده من المخاطب، والقوة الإنجازية التي تحملها العبارة اللغوية.

ونجد ما يعبر عن الأمر كذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ التحريم/2، فجاء الأمر هنا بلفظ (فرض) وهو فعل ماض مؤكّد بحرف التحقيق (قد) يجعلان من الجملة خبرية في ظاهرها، أمرية طلبية في مضمونها.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة/45.

«وَالْكَتَبُ هُنَا مَجَازٌ فِي التَّشْرِيحِ وَالْفَرْضُ بِقَرِينَةِ تَعْدِيَّتِهِ بِحَرْفِ (عَلَى)، أَيْ أَوْجَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا، أَيْ فِي التَّوْرَةِ مَضْمُونٌ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ، وَهَذَا الْحُكْمُ مَسْطُورٌ فِي التَّوْرَةِ أَيْضًا، كَمَا اقْتَضَتْ تَعْدِيَّتُهُ فِعْلٌ كُتِبْنَا بِحَرْفِ (فِي) فَهُوَ مِنْ اسْتِعْمَالِ اللَّفْظِ فِي حَقِيقَتِهِ، وَمَجَازِهِ.

وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ لَا يُسْتَطَاعُ جَحْدُهُ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ وَالْكِتَابَةُ تَزِيدُ الْكَلَامَ تَوْثِقًا، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ [282].»

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ: «وَهَلْ يَنْفُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءِ»² فانت تلاحظ من خلال الآيات تنوع ورود الأمر في القرآن الكريم، بصيغ مختلفة، تجعل من الجملة الخبرية، ظاهرة لغوية استرعت انتباه المهتمين بشأن اللغة قديما وحديثا.

وإذا ما تحوّلنا بالحديث إلى القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة، وجدنا "سيرل Searle" يوكلها إلى المقام، وأنّ التوصل إليها لا يكون إلا عبر عمليات ذهنية، كما أوجد بعد ذلك إجابة لسؤالين يتبادران إلى الأذهان كثيرا ألا وهما: كيف يقول المتكلم شيئا ويعني آخر؟ ثم كيف يكون ممكنا أن يسمع المخاطب شيئا له معنى، ويفهم منه معنى آخر؟

¹ - قيس إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، ص 57.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 213.

الإجابة ملخّصة في مبدأ التعاون الحواري، أو ما أسماه باستراتيجية الاستنتاج عند السّامع. كما لاحظ "سيرل Searle" أنّ لجوء المتكلّم لاستخدام الأفعال غير المباشرة باعتبه التّادّب في الحديث، «ثمّ اختار التّوجيهيات غير المباشرة indirect directives نموذجًا، فقسمها إلى مجموعات بحسب قدرة السّامع على أداء الفعل، ورغبته فيه والبواعث إليه، ورغبة المتكلّم أن يؤدّي السّامع فعلًا ما، واستجابة السّامع له»¹. ونردف بالقول هنا أنّ بعض الباحثين لاحظوا غلبة تواصلنا بالأفعال الإنجازيّة غير المباشرة، أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازيّة المباشرة، هاته الأخيرة التي تقتصر في الغالب على الأفعال المؤسّساتيّة أو التّشريعيّة، كالتّفويضات والوصايا وأمور الموارث والإيجار... ونحوها.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الزّمر/ 11 - 12. ظاهر الخطاب إخبار، ومضمونه أمر «وَعَطْفُ وَأُمِرْتُ الثّاني على أُمِرْتُ الأوّل للتّنويه بهذا الأمر الثّاني ولأنّه غايَر الأمر الأوّل بِضَمِيمَةٍ قَيْدِ التّعليلِ فَصَارَ ذِكْرُ الأَمْرِ الأوّلِ لِيَبَيِّنَ المأمُورِ، وَذِكْرُ الأَمْرِ الثّاني لِيَبَيِّنَ المأمُورِ لِأَجْلِهِ، لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّهُ أَمَرَ بِأَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ: أَحَدُهُمَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَالثّاني يَخْتَصُّ بِهِ وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَهُ كَذَلِكَ لِيَكُونَ بِعِبَادَتِهِ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ، أَي أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَبْلُغَ الغَايَةَ القُصُوى فِي عِبَادَةِ اللَّهِ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ»². إذاً يمكن اعتبار ورود الأمر بصورة الفعل الماضي (أُمِرْتُ) توجيهًا دلاليًا لمعنى الأمر غير المباشر، بصيغة أقلّ ما يقال عنها: أنّها ستظلّ مسألةً مثيرة للجدل.

نخلص ممّا تقدّم إلى تعدّد صور الأمر من خلال الخبر في القرآن الكريم، وما أوردناه من شواهد لا يمكن أن يلخص الفكرة، ولا أن يكشف أسرار الظّاهرة اللّغوية، بل يضعنا على سكة البحث مجدّداً، وخاصّة بشأن إدراج الجملة الخبريّة التي يستفاد منها الأمر، هل هي خبر أم إنشاء طلبيّ؟ سؤال يطرح نفسه بإلحاح في ظلّ بقاء فكرة إمكانيّة الحكم على الكلام بالصدّق أو الكذب أساسًا للتّفريق بين الكلام الخبريّ والإنشائيّ، فكرةً رائجةً مدسوسةً في بطون الكتب، وخصوصًا تلك الموجهة إلى التّاشّعة في المدارس. لنسأل بعد ذلك: أما آن الأوان للتّدقيق في مسألة تقسيم الكلام؟ على اعتبار أنّ الجملة الخبريّة في كثير من الأحيان لا

¹ - محمد أحمد نخله، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص 82.

² - ابن عاشور، التّحريم والتّنوير، ج 23، ص 358.

نستطيع الحكم عليها، أهي صادقة أم كاذبة؟ هل هي زبقيّة تصلح خبراً كما تصلح إنشاء؟ هل يجوز لنا القول أنّ فكرة الحكم على الكلام بالصدق أو الكذب، كانت خاطئة من مهبها الأول؟ أم أنّها تماشت مع مرحلة معيّنة، ثمّ اصطدمت بواقع آخر؟ أسئلة وأخرى تُطرح على "سيرل Searle" الذي أدلى بدلوه كثيراً في هذه المسألة، مستفيداً من أفكار أستاذه "أوستين Austin"، وعلى خلفهما إضاءة الطّريق أمام الباحثين للخروج بفكرة واضحة ناصعة البياض، تفيد الباحث التداولي خاصّة، واللّغويّ عامّة.

3 - فعل الأمر والتوجيهات في القرآن الكريم:

تعريف التوجيهات:

التوجيهات وتسمى الأمرات، قسم بارز في أفعال الكلام، يتغي من ورائها المتكلم جعل شخص آخر يقوم بشيء «وغرضها الإنجازي توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما. واتّجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات world-to-words، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرّغبة الصادقة، والمحتوى القضوي فيها هو دائماً فعل السّامع شيئاً في المستقبل. ويدخل في هذا الصّنف: الأمر والرّجاء والاستعطاف والتّشجيع، والدّعوة والإذن والنّصح، بل التّحدّي أيضاً الذي جعله "أوستين Austin" في أفعال السلوك»¹. إذاً القصد في التوجيهات هو محاولة التأثير في المخاطب، وجعل عالمه ملائماً للكلمات. ويمكن تقسيم هذا النوع من أفعال الكلام إلى قسمين: توجيهات نفسيّة كالعتاب والطّماننة، وتوجيهات طلبية كالتّقرير والدّعاء والتّهديد والتّهكّم والإرشاد والتّعجيز والإباحة والتّوبيخ والتّفريع... والأوامر في القرآن الكريم مختلفة الاتجاهات؛ إذ منها ما هو موجّه إلى الرّسول الكريم □، وبعضها يتّجه نحو المؤمنين، وبعضها الآخر خصّ النّاس جميعاً، في حين نجد طائفة من الأوامر اتّجّهت نحو المشركين، هذا دون أن ننسى تلك الأوامر المدرجة في المواقف الحوارية، ضمن القصص القرآني، كحوار سيّدنا يعقوب مع أبنائه في قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ يوسف/87. فقد أمرهم بفعل الذّهاب فالتّحسس لأجل أحيهم.

¹ - محمد أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي، ص79.

ومن الأفعال الكلامية التوجيهية المستقاة من الأمر:

- **الإرشاد:** في مثل قوله تعالى مخاطباً نبيه محمد □: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ المزمّل/1 - 2، فالمولى سبحانه ينصح رسوله بقيام الليل تحضيراً له لتحمل الرسالة، وقال جمهور المفسرين أنّ هاته الآيات نزلت قبل فرض الصلاة ليلاً ونهاراً. إذاً الفعل (قم) يتضمّن فعلاً كلامياً مباشراً هو الإرشاد. أمّا على مستوى الفعل التأثيري الناتج عن القول، بحسب تقسيم "أوستين Austin"، فهو امتثال الرسول الكريم لأمر ربّه الذي أعقب فعل قيام الليل بفعل الترتيل.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة/103. فعل (حرّض) يستفاد منه تأجيج بواعث الأنفس كي تثبت أمام عظمة الامتحان. غير أنّ الفعل التأثيري وهو تحقيق الغلبة بالصبر، مختلف عن الآية السابقة، أي أنّ تغلب المؤمنين على أعدائهم، هو ناتج تحريضهم من قبل قائدهم عليه صلوات الله وأزكى التسليم.

وقبل الاسترسال في إيراد الأفعال الكلامية محلّ الدرس، تجدر بنا الإشارة إلى «أنّ النداء في القرآن الكريم، يُعدّ بمثابة مدخل لأفعال كلامية أخرى، بحيث تكون هي الهدف، كالأمر، والنهي والعدّ... إلخ، ومن هنا نفهم أنّ النداء طلب استحضار، يُراد منه إقبال المدعو على الداعي، ليتمكّن من توجيهه ما يريد، و يصحب في ذلك غالباً الأمر والنهي، فعن ابن مسعود أنّه قال: قال رسول الله □: > إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فارعها سمعك، فإنّه خير يأمر به، أو شرّ ينهي عنه¹. وعلى ذلك ستجد أغلب الأوامر التي سنتناولها مصدّرة بالنداء، ظهرت أدواته أم حذفت.

- **الإباحة:** وهي فعل كلامي نستشقه من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ البقرة/172. الشاهد في الآية هو الفعل (كلوا) فيبيح الخالق لعباده أكل ما حلّ وطاب من النعم، وقد قيّد فعل الأكل بفعل الشكر (اشكروا)، فالقوّة الإنجازيّة حرفيّة في الأمرين، أمّا القوّة المستلزمة هي الإباحة.

¹ - انظر، محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة دراسة تداولية)، أطروحة دكتوراه، جامعة الوادي، 2013 - 2014م، ص178.

ويتجلى فعل الإباحة كذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الجمعة/9 - 10 الشاهد في هذه الآية الفعل الكلامي الانتشار، الناتج عن فعل الأمر (انتشروا) .

«فالإذن والإباحة من الأفعال الكلامية المتفرعة عن أسلوب الأمر، من بين أساليب الإنشاء الطلبي، أفعال مستدعاة بالقول جديدة، فكلاهما يمكن إدراجها ضمن الأمرات عند "سيرل Searle"، أمّا المأذون فيه إذنًا غير جازم، أي المباح، فهو وارد في تطبيقات الأمر أو النهي، فالمباح نوع من الأفعال الكلامية المسكوت عنها»¹. وبالعودة إلى الآية الكريمة، سيكون الفعل التأثيري الناتج عن فعل الانتشار، هو الابتغاء من فضل الله، أي اكتساب المال والرزق.

- **التخيير:** فعل كلامي مجانس لفعل الإباحة كما يؤكد "مسعود صحراوي" «ويتعلق بفعل الإباحة فعل آخر لم يذكره شهاب الدين القرافي، وذكره بعض العلماء هو فعل التخيير. وعلى الرغم من تشابههما الشديد -برؤية المعاصرين (من جهة الصيغة اللغوية، ومن جهة القوة الإنجازية)- فإنّ بينهما فرقاً واضحاً، يتمثل في جواز الجمع بين المباحين في الإباحة، وامتناع الجمع بينهما في التخيير»². لذلك رأى كل من "أوستين Austin" و"سيرل Searle" اختلاف الآثار المترتبة عن كلّ منهما.

- **التسوية:** وهي كذلك من الأفعال الكلامية المستنبطة من الأمر في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ التوبة/53، ففعل الإنفاق المستدلّ عليه بفعل الأمر (أنفقوا) فعل حثّ قوّته الإنجازية حرف العطف (أو) الذي أفاد التسوية، كما يشير إلى ذلك الشيخ الطاهر بن عاشور «وَالأَمْرُ فِي أَنْفِقُوا لِلتَّسْوِيَةِ أَي: أَنْفِقُوا أَوْ لَا تُنْفِقُوا، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَوْ فِي قَوْلِهِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا وَهُوَ فِي مَعْنَى الْحَبْرِ الشَّرْطِيِّ»³

ومن الأمر الدال على فعل التسوية كذلك قوله عزّ وجل: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الطور/16، والخطاب موجه للمكذّبين بيوم الدين، فبعدما أكد سبحانه في الآيات السابقة على دفعهم في النار دفعا عنيفا غليظا، جزاء

¹ - أنظر، مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص 153.

² - المرجع نفسه، ص 154 - 155.

³ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج53، ص226.

التكذيب، يصل إلى توعددهم بجزء من جنس طغيانهم. أمّا القوّة الإنجازيّة فهي مركّبة؛ بدأت عند الفعل (اصلوها) وتحقّرت بالفاء في (فاصبروا) فتضاعفت بحرف العطف (أو) الدال على التسوية، دون الغفلة عن فعل الأمر (اصبروا) الذي جاء موالياً لفعل الاصطلاء، ممّا زاد حمولة الآية قوّة إنجازية ظهرت تأثيراتها في الجزء، وهو الفعل التأثيري المستشف من قول تعالى: ﴿ إِنَّمَا بُحْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، واتّجاه المطابقة - كما هو واضح - من العالم إلى الكلمات، ففعل التكذيب واقع، والعقاب تحمله الكلمات. وهذا أمر تعضده الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ إبراهيم/21، والشاهد هنا قوله: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ فالجرم عظيم ولا مطمع في تخفيف عقابه.

- **التعجيز:** نستدلّ على هذا الفعل الكلامي من خلال قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة/258، ونحن نقصد ناتج فعل الأمر (فأت) والإتيان بالشيء عمل متضمّن في الفعل آتى، على خلاف إتيان الشيء من الفعل أتى بمعنى الجيئ. والفعل (فأت) قوّته الإنجازية كامنة فيه، تضافرت عوامل لغويّة أخرى لتزيدها قوّة أخرى، كالفاء والباء والضّمير العائد على الشّمس (الهاء)، وهو ما يسميه "أوستين Austin" «بمصاحبات المنطوق الخاصّة بالمتكلم»¹، أمّا الفعل التأثيري الناتج عن هذه المجادلة فهو (بُهِتَ)، إذ كانت ردّة فعل الكافر الذّهول أمام طلب مستحيل بالنّسبة له.

وما يدلّ على فعل التعجيز كذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة/23. فالفعل (أتوا) تعجيز بالقول، قوّته الإنجازية جعل المتردّدين عاجزين عن الإتيان بسورة واحدة مماثلة للقرآن الكريم. واتّجاه المطابقة هنا من العالم نحو الكلمات، والعجز كفعل تأثيري حاصل لا محالة، فقد خاطبهم مجتمعين، وأردف بتحديدهم حينما طلب منهم دعوة شهدائهم لإعانتهم أو قضاء حاجاتهم.

¹ - انظر الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، ص 181.

- **الدعاء:** كثيرا ما نسجله فعلاً كلامياً من خلال الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة/ 127 - 128 - 129. أفادت أفعال الأمر الواردة في هذه الآية معنى الدعاء والتضرع إلى الله، و«فائدة تكرير النداء بقوله: رَبَّنَا إِظْهَارُ الضَّرَاعَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِظْهَارُ أَنَّ كُلَّ دَعْوَى مِنْ هَاتِهِ الدَّعَوَاتِ مَقْصُودَةٌ بِالذَّاتِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُكْرَرْ النَّدَاءُ إِلَّا عِنْدَ الْإِنْتِقَالِ مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى أُخْرَى»¹. وقد كتنا أسلفنا الذكر أنّ الأمر إذا كان من الأقل منزلة إلى المولى سبحانه لا يكون حقيقياً، بل يخرج إلى معنى الدعاء.

- **الالتماس:** هذا الفعل الكلامي غالباً ما ينشأ عند تساوي منزلة الأمر والمأمور، وتمثل له بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ ﴾ يوسف/42. الشاهد هنا هو الفعل (ادكرني) طلب من سجين إلى مسرّح حتماً سيبتعد عن الغلظة والاستعلاء.

ومن الالتماس كذلك طلب ابنة سيدنا شعيب في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ القصص/26. فلما رأت من سيدنا موسى ما رأت من الأمانة والقوة، التمسّت من والدها استئجاره. والقوة الإنجازية محفزة بعوامل لغوية عدّة: ياء النداء، التاء النائية عن ياء المتكلم في (أبت). أما محتوى الآية القضيوي فهو ما تحمله كلماتها من رغبة ملحة لابنة سيدنا شعيب في مجازاة الذي سقى لهما.

- **التحقير والتسخير:** فعلاّن كلاميّان يستفادان من الأمر في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ البقرة/65. تنبئ الآية بفعل كلامي ذي قوة إنجازية يعبر عنها الفعل (كونوا)، والفعل التأثري محسّد في المسخ وتغيير الهيئة. أمّا اتجاه المطابقة فهو من العالم إلى الكلمات. ونخلص ممّا تقدّم أنّ دلالة الأمر توجهه حسب مقتضيات الحال، وحيثيات السياق، وقد يخرج الأمر إلى معانٍ أخرى تمثّل أفعالا كلامية، كالوعيد والتعجب والإكرام وغيرها مما يتوافق مع رؤية البحث اللساني الحديث، حيث يلتقي إلى حدّ بعيد مع مفهوم الممارسة التأويلية عند الأصوليين، وفي ذلك يقول

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص719.

"هاليداي Halliday" في معرض حديثه عن تجديد اللغة لإمكاناتها القرائية، وعن أفقها الدلالي المفتوح: «إذا كان بإمكاننا أن نغيّر مستوى اللغة الرسمية في كلامنا أو كتاباتنا، أو ننقل بحريّة من نمط سياقي إلى نمط آخر، فنستعمل اللغة تارة لتخطيط نشاط منظم، وتارة لإلقاء محاضرة عامّة، وتارة لتدبير شؤون الأولاد، فلأنّ اللغة على شاكلةٍ، بحيث أنّ جميع هذه الوظائف مبنية حسب طاقاتها الاستيعابية الكلّية»¹. بهاته الرّؤية تكون اللغة مؤدّية للمهمّة السّامية التي نيّطت بها، ألا وهي تواصل البشر فيما بينهم، منشئين دلالات يتكفّل المقام بتوجيهها، سواء كان الكلام خبرياً أو إنشائياً.

¹ - منقول عن مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 137.

Halliday, Edward Arnold: exploration in the functions of language, m,a,k. 1973. P 23. -

الخاتمة

قد اقتضت سنة الكون أن يكون لكل بداية خاتمة، وبحثنا هذا ما عليه إلا الامتثال لهذا الأمر، فها هو يصل إلى محطته الأخيرة، وهي نافذة يمكن أن نطل من خلالها على ما مر بنا في هاته الدراسة، حيث يجد القارئ نفسه أمام الموضوع بشيء من الإيجاز، ويمكننا تحديد زوايا بحثنا في الآتي:

- التعريف بأسلوب الأمر كما رآه النحاة، بمختلف صيغه المعبرة عن قيمة اللغة العربية وشموليتها، وتفرد الأسلوب القرآني بإعجازه، وقفت أمامه باقي الألسن صاغرة مدهوشة؛ لأن تشكّل الأمر بصيغة الفعل مختلفة كل الاختلاف عن وروده بصورة اسم الفعل أو المصدر رسمًا ودلالةً، وإلا لما كان من داعٍ لذلك التلوين.

- ظهور الأمر من الناحية البلاغية على حقيقته، وخروجه لأغراض بلاغية كالتهديد أو التعجيز أو السخرية أو التصح والإرشاد، هي سمة أخرى للغة العربية، وخاصة في القرآن الكريم، تفرض على المتكلمين ضرورةً مدارسة هذا الأسلوب والاقتراف من أطايب معانيه.

- بين نحوية الأمر وبلاغية رعييل من العلماء الأفاضل أمثال: الخليل بن أحمد وسيبويه، وابن جني، والزمخشري، والخطيب القزويني... قائمة تطول، جديدة بالاتباع، والانتفاع بما أسدوه للغة القرآن الكريم من خدمات جليلة، حفظت لغتنا من التحريف والتزييف، ووضعتنا ناشئتنا أمام زادٍ ضخم مبثوث في مؤلفات عديدة ككتاب سيبويه، والبيان والتبيين، وأسرار البلاغة، والكشاف... هاته الكتب جديدة بالاطلاع لمواصلة رحلة البحث اللغوي، واكتشاف مازال مكنونًا في لغة القرآن.

- دلالة أسلوب الأمر في القرآن الكريم فيها الكثير من التوجيه نحو مقاصد شرعية وأخرى دنيوية، يجلبها الأسلوب القرآني بيانية بصورة إعجازية.

- احتكام اللغة إلى عنصر السياق، وهو الأيقونة المتحركة في توجيه الدلالة، سواء تعلق الأمر بالسياق اللغوي بتفريعاته أو السياق الثقافي أو سياق الموقف، فلا فهم لحديث المتكلم إلا بإخضاعه للعوامل المحيطة.

- الأمر من خلال القرآن الكريم تركيبة لما يُسميه التداوليون أفعال الكلام، أو

تحقيق فعل ما من خلال القول.

- طَرَقَ علماءِ الأصولِ والنُّحاةِ والبلاغيينَ لفكرةِ الأفعالِ الكلاميةِ طرفًا غير مقصود لذاته، بل لأجل حلِّ إشكالاتٍ فقهيةٍ ولغويةٍ.

- أسلوبُ الأمرِ تتجاذبه رؤىٌ مختلفة؛ إذ نجدُه قديمًا مصنّفًا ضمن الأساليب الإنشائيةِ الطلبيّة، إلّا أنّ "أوستن Austin" دعا إلى مراجعة تقسيم الكلام ضمن الخبر والإنشاء، ليبقى السّؤال مطروحًا: هل الأمر المستفاد من الجملة الخبرية في مثل: (كُتِبَ، فرض، أوصى، يأمر) مندرجٌ ضمن الأساليب الخبرية أم الإنشائية؟

- ظهورُ فعلِ الأمرِ بالمنظور التداولي في خانة التوجيهيات يبرز طاقته الإنجازية المتمثلة في إحداث أثر في المخاطب، وهو ما وقفنا عنده في الآيات القرآنية الواردة في بحثنا، والتي تشعبت وجهاتها، من تلك التي وجهها المولى سبحانه إلى النبي ﷺ، أو تلك التي وجهها إلى باقي خلقه من المؤمنين وغيرهم.

- الأمرُ أبرزُ الأفعالِ الكلاميةِ من منظور التداولين لأنّه يجسد صدق عملية التواصل بين المتكلم والمخاطب، فهو فعلٌ كلاميٌّ مباشرٌ يُرجى من ورائه إحداث أثر بتغيير سلوك أو تهذيبه أو العدول عن شيءٍ آخر بالالتزام بالمطلوب.

بهذا نكون قد أتينا إلى إنهاء هذا البحث، وهو عملٌ إنسانيٌّ وُصف بالنسيان والنقصان، فالله نسأل أن تكون الهنات والعثرات أقلّ ممّا قد يُسيء، أو يُصنّف عملنا في خانة الاحتناق، أو غيرها من الوضعيات التي لا نملك إلّا أن نحمد خالقنا عليها، فاللهم لك الحمد كما يليق بوجهك وعظيم سلطانك على كلِّ ما أنعمت به علينا من صحّة وعافية وعقل به فضلنا سائر خلقك.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.
2. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، د تحق، مكتبة نهضة مصر، مصر، د ط.
3. أحمد محمد قدّور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 1429هـ - 2008م.
4. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، د تحق، القاهرة، ط1، 1985م.
5. أشرف حسن محمد حسن، عبير بنت علي أحمد عفيفي، البلاغة النبوية في كتاب التفسير من صحيح البخاري علم المعاني، ط1، 1437هـ - 2016م.
6. ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحق، محي الدين عبد الحميد دار الطلائع، القاهرة، ج2.
7. إيليا الحاوي، خليل مطران شاعر القطرين، د تحق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م، ج4.
8. بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، ط1، 1397هـ - 1977م، مج2.
9. برتيل مالبرج، علم الأصوات، تعريب، عبد الصبور شاهين، د تحق، مكتبة الشباب، د ط.
10. بركات يوسف عبّود، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تصحيح محمد البقاعي دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2012م.
11. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير، راسم للدعاية والإعلان، ط3، 1410هـ - 1990م، ج2.
12. بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح، تحق، عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1423هـ - 2003م، ج1.
13. بهاء الدين محمد يزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010م.
14. تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1994م.
15. تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة، د تحق، مكتبة النّسر، د ط.

16. ابن جني، الخصائص، تحق محمد علي النّجّار، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
17. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحق، الشّيخ أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ - 1993م، ج6.
18. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، د تحق، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ - 2002م.
19. خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدّلالة، بيت الحكمة الجزائر، ط2، 2012م.
20. خليل هزازي سعود، فتح العزيز الوهّاب بتفسير ومسائل فاتحة الكتاب، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، د ط، 1432هـ.
21. الرضي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحق، يحيى بشير مصري، هامش، القسم الثاني، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، ط1، 1417هـ - 1996م، مج1.
22. الرّمخشري، أساس البلاغة، د تحق، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
23. الرّمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، د، تحق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج2.
24. سعاد بسناسي، مصطلح النّبر في الدّرس اللّساني الحديث، جامعة وهران، السّانية، د ط.
25. سيّد حسن أرياب، النّبر في القرآن الكريم، دراسات دعويّة، العدد السّابع عشر، 2009م.
26. الشّعراوي، تفسير الشّعراوي - الخواطر، مطابع أخبار اليوم، نشر في 1997م، ج19.
27. صباح عبّيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1406هـ - 1986م.
28. طالب سيّد هاشم الطبطبائي، نظريّة الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، د، تحق، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994م.
29. ابن عاشور، التحرير والتّنوير، الدّار التونسيّة للنّشر، 1977م، ج14.
30. ابن عاشور، التّقريب لتفسير التحرير والتّنوير، دار ابن خزيمة، ج1.
31. عبد الرحمان البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مراجعة محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2006م، ج1.

32. عبد الرّحمان حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربيّة (أسسها وعلومها وفنونها)، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ - 1996م.
33. عبد العزيز عبد المعطي عرفه، من بلاغة النظم العربي، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1405هـ - 1984م، ج2.
34. عبد العزيز عتيق، علم المعاني (في البلاغة العربية)، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.
35. عبد الفتّاح عبد العليم البركاوي، دلالة السّياق بين التّراث وعلم اللّغة الحديث، دار الكتب، د ط، 1991.
36. عبد القادر حسين، البلاغة القيّمة لآيات القرآن الكريم، جزء عمّ، د تحق، دار غريب، القاهرة، د ط.
37. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، 1412هـ - 1991م.
38. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، 1375هـ.
39. عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
40. عرفات فيصل المتّاع، السّياق والمعنى (دراسة في أساليب النّحو العربي)، ط1، مؤسسة السّيّاب، لندن، 2013م.
41. ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحق، محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط2، 1990م، ج1.
42. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف بمصر، مصر، ط17، 1383هـ - 1964م.
43. علي آيت أوشان، السّياق والنّص الشعري من البنية غلى القراءة، مطبعة التّحاح الجديدة، الدّار البيضاء، ط1، 1421هـ - 2000م.
44. عيسى علي العاكوب، الكافي في علوم البلاغة العربيّة، مطبعة الانتصار، منشورات الجامعة المفتوحة، ط1، 1993م.

45. ابن فارس، الصّاحي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ - 1997م.
46. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحق، عبد السلام هارون، دار الجليل بيروت، 1999م، ج3.
47. فاضل صالح السّامرائي، بلاغة الكلمة في التّعبير القرآني، د تحق، مكتبة التّهضة، بغداد، ط1.
48. الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ - 1983م، ج3.
49. فضل حسن عبّاس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، فرع إربد مقابل جامعة اليرموك، ط1، 1405هـ - 1985م.
50. فلاح حسن محمد الجبّوري، قطوف دانية في علوم البلاغة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د ط، 1971م.
51. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (سَوَق)، تعليق، أبو الوفا نصر الهوريني وأحمد باشا تيمور، دار الغد الجديد، ط1، 1435هـ - 2014م.
52. الفيروز أبادي، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحق، محمد علي النّجّار، مطابع الأهرام التّجاريّة، القاهرة، ط3، 1416هـ - 1996م، ج4.
53. الفيض الكاشاني، تفسير الصّافي، مكتبة الصّدر، طهران، ط3، 1379هـ، ج2.
54. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط2، ج19، 1964م.
55. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحق، عبد المحسن التّركي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ - 2006م، ج8.
56. قيس إسماعيل الأوسي، أساليب الطلب عند النّحويين والبلاغيين، د تحق، بيت الحكمة جامعة بغداد، د ط.
57. كتاب سيبويه، تحق عبد السلام هارون، دار التّاريخ بيروت لبنان ط6، ج1.
58. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحق، محمد نصر الدين وعبد الرحمان الهاشمي، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، ط1 2006م، مج1.
59. كمال محمد بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، د ط، 2000م.
60. كمال محمد بشر، دراسات في علم اللّغة، دار المعارف، مصر، ط9، 1986م.

61. مجد بن أحمد مكّي، المعين على تدبّر الكتاب المبين، دار نوادر للمكتبات والنشر، ط1، 1431هـ - 2010م.
62. محمّد الرّازي فخر الدّين، تفسير الفخر الرّازي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ - 1981م، ج17.
63. محمد بن الحسين الطّوسي، التّبيان في تفسير القرآن، تحق، أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، مج5.
64. محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، مؤسسة الشّيخ محمد بن صالح العثيمين الخيريّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1436هـ.
65. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1428هـ - 2007م.
66. محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الرّمحشري، وأثرها في الدّراسات البلاغيّة، د تحق، دار الفكر العربي، د ط.
67. محمد شعبان علوان، بلاغة القرآن، د تحق، دار العربيّة للنشر، ط2، 1998م.
68. محمد طاهر الحمصي، من نحو المباني إلى نحو المعاني، د تحق، دار سعد الدّين، دمشق، ط1، 2003م.
69. محمد علي الصّابوني، صفوة التّفاسير، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1421هـ - 2001م، ج3.
70. محمّد نوري الموسوي، دلالة الفعل المزيد بالتّضعيف (فَعَّلَ) في القرآن الكريم.
71. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م.
72. محمود بن محمّد نسيب الحمزاوي، درّ الأسرار في تفسير القرآن، تحق، أسامة عبد العظيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ج2.
73. مسعود بودوخة، السّياق والدّلالة، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2012م.
74. مسعود صحراوي، التّداولية عند علماء العرب، دار الطّليعة، بيروت، ط1، 2005م.
75. مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحق، عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التّراث، بيروت، ط1، 1423هـ، ج2.

76. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ، مج6، باب الواو، مادة وَجَهَ.
77. ناصر الدين البيضاوي، تفسير البيضاوي، د تحق، دار احياء التراث العرب، بيروت، لبنان، ط1، ج5.
78. النّويّ دمشقي، شرح الأربعين النّويّية، شرح ابن دقيق العيد، دار ابن حزم بيروت، ط1، 1997م.
79. هادي نهر، الإتقان في النحو وإعراب القرآن، دار عالم الكتب الحديث، عمّان، الأردن، ط1، 1431 هـ - 2010م.
80. أبو هلال العسكري، الصّناعتين، تحق، محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، 1419 هـ.

ثانياً: الدّوريات:

1. خليل عبد المعطي المايح، أسلوبا الأمر والنهي في سورة المائدة دراسة دلالية، جامعة البصرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربيّة، مجلّة آداب ذي قار، العدد الخامس، مج2، شباط 2012م.
2. عيدة ناغش، صيغ الأمر في الحديث النّبوي، دراسة تداوليّة، جسور المعرفة، جامعة محمد بوقرة، بومرداس، الجزائر، العدد العاشر، جوان 2017م.
3. فطومة لحماذي، السّياق والنّص استقصاء دور السّياق في تحقيق التّماسك النّصي، مجلّة كلفة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، العدد الثّاني والثّالث، 2008م.
4. ياسر أحمد الشّمالي، السّياق اللّغوي وأثره في فقه الحديث النّبوي، دراسات علوم الشّريعة والقانون، العدد الأوّل، مج38، 2011م.

ثالثاً: الرسائل الجامعيّة:

1. آسيا حنك، الأمر والنّهي وفاعليّة السّياق في تحديد المعنى، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللّغة العربيّة، تخصص علوم اللّسان، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، 2015 - 2016م.
2. تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث، أثر دلالة السّياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الكتاب والسنة،

- كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، 1428هـ - 2007م.
3. حدي مادي ونذيرة حليلو، دلالة الأمر في سورة البقرة - دراسة بلاغية -، ماستر علوم اللسان، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016 - 2017م.
4. خلوفي قدور، مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني (سورة الكهف أنموذجا) أطروحة دكتوراه، تخصص لسانيات تداولية، جامعة أحمد بن بلّة، وهران، 2014 - 2015م.
5. سمية محامدية، دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية تخصص علوم اللسان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، 2012 - 2013م.
6. عبد الفتاح خمّار، دلالة السياق في فهم النص، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، تخصص علوم اللسان العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014 - 2015م.
7. محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة دراسة تداولية)، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013 - 2014م.
8. نادية يعقوب، المعنى بين اللغة والمقام في الحديث النبوي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص لسانيات النص، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، سنة 2016م.

الفهرس

أ	المقدمة
6	مدخل: تحديد أهم مفاهيم ومصطلحات الدراسة
6	- التوجيه لغة
7	- التوجيه اصطلاحاً
7	- الدلالة لغة
8	- الدلالة اصطلاحاً
8	- التداول بوصفه معطى لغوياً حديثاً
10	الفصل الأول: نحوية الأمر وبلاغيته من خلال كتب التفسير
11	المبحث الأول: صيغ الأمر النحوية في القرآن الكريم
13	أولاً: صيغة فعل الأمر
17	ثانياً: الفعل المضارع المقرون بلام الأمر
19	ثالثاً: اسم فعل الأمر
22	رابعاً: المصدر النائب
24	المبحث الثاني: أسلوب الأمر وأغراضه البلاغية في القرآن الكريم
25	1- خروج الأمر إلى معنى الدعاء
27	2- خروج الأمر إلى معنى الوعيد والتهديد
28	3- خروج الأمر إلى معنى الإباحة
29	4- خروج الأمر إلى معنى التعجيز والتبكيك
30	5- خروج الأمر إلى معنى التوبيخ والتقريع
31	6- خروج الأمر إلى معنى السخرية والاستهزاء
32	7- خروج الأمر إلى معنى التسوية

34	الفصل الثاني: أسلوب الأمر والبحث التداولي في القرآن الكريم
35	المبحث الأول: دور السياق في توجيه الأمر في القرآن الكريم
35	1- تعريف السياق
37	2- السياق اللغوي
58	3- سياق الموقف
59	4- السياق الثقافي
61	المبحث الثاني: أسلوب الأمر وأفعال الكلام في القرآن الكريم
62	1- ماهية الأفعال الكلامية
64	2- دلالة الجملة الخبرية على الأمر في القرآن الكريم
71	3- فعل الأمر والتوجيهات في القرآن الكريم
77	الخاتمة
79	قائمة المصادر والمراجع